

رسوم / أحمد بيومي

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/558
تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 729261 7 00961
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا جزين
07 230195 - 00961 7 230841
تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
1436 هـ - 2015

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

المحتويات



هَذِهِ الْحِكَايَاتُ

اِعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ هَدَفًا.. وَحِينَمَا يَكُونُ عَمَلًا نَافِعًا.. يَكُونُ الْهَدَفُ نَبِيلًا.

وَهَـدَفُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ ـ عَلَى تَنَوُّعِهَا ـ هُوَ الْمَعْرِفَةُ.. مَعْرِفَةُ الْعَالَمِ شَـرْقِهِ وَغَرْبِهِ، وَالْغَوْصُ خِلَالَ التَّارِيخِ وَالْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ.

وَحِينَمَا شَـرَعْتُ فِي اخْتِيَارِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ.. كَانَ مَنْهَجِـي أَنْ أُحَاوِلَ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ أَنْ تَكُونَ الْحِكَايَـةُ غَيْرَ مُكَرَّرَةٍ، وَأَنْ تُضِيفَ شَـيْئًا مِنَ الْمَعْلُومَاتِ أَوِ الْمَعَارِفِ، وَأَنْ أُرْجِعَهَا إِلَى مُجْتَمَعِهَا أَوْ بِيئَتِهَا التَّارِيخِيَّةِ أَوِ الْجُغْرَافِيَّةِ، وَأَنْ أُعِيدَ عَرْضَهَا بِأُسْلُوبٍ مُبَسَّـطٍ مُكَثَّفٍ فِي مُتَنَاوَلِ الْقَارِئِ مَهْمَا كَانَ مُسْتَوَاهُ الْفِكْرِيُّ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

وَرَجَعْتُ إِلَى التَّارِيخِ وَإِلَى الْأَدَبِ الشَّـعْبِيِّ وَإِلَى عَالَمِ الْأُسْطُورَةِ ـ أَحْيَانًا ـ وَإِلَى الْأَسْفَارِ الدِّينِيَّةِ لِبَعْضِ الشُّعُوبِ.. وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُعِينَنِي عَلَى مَنْهَجِي هَذَا.

لِهَـذَا تَرَاوَحَتْ هَذِهِ الْحِكَايَاتُ بَيْنَ الْوَاقِعِ وَالْخَيَـالِ، وَكَانَ هَذَا الْحَصَادُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ ـ عَزِيزِي الْقَارِئَ ـ حِكَايَاتٍ وَأَقَاصِيصَ قَصِيرَةً غَيْرَ مُمِلَّةٍ.. تَحْمِلُ قِيَمًا وَمَعْرِفَةً وَأَصَالَةً وَتَارِيخًا وَحِكْمَةً.

وَلِكَيْ تَظَلَّ ـ عَزِيزِي الْقَارِئَ ـ مَشْدُودًا إِلَى الْقِرَاءَةِ.. سُقْتُ لَكَ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ مَرَّةً مِنَ الشَّـرْقِ وَأُخْرَى مِنَ الْغَرْبِ، وَتَارَةً هِيَ حِكَايَـةٌ تَارِيخِيَّةٌ، وَتَارَةً أُخْرَى حِكَايَةٌ شَعْبِيَّةٌ، وَأَحْيَانًا هِيَ حِكَايَةٌ مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ الْأَدَبِ الْعَالَمِيِّ، وَأُخْرَى مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ بَعْضِ الْعَقَائِدِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ السَّـائِدَةِ، وَبِهَذَا التَّنَوُّعِ تَظَلُّ تَبْحَثُ مَعَنَا وَرَاءَ كُلِّ حِكَايَةٍ، فَلَا تَتْرُكِ الْكِتَابَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَنْتَهِيَ مِنْهُ.

ذَلِكَ هُوَ حُلْمِي مَعَكَ ـ أَيُّهَا الْقَارِئُ ـ أَنْ تَظَلَّ مَعِي بِلَا مَلَلٍ وَلَا ضِيقٍ، وَأَنْ يَظَلَّ وِجْدَانُكَ مُشْرِقًا وَمُسْتَمْتِعًا بِمُفَارَقَةٍ أَوْ بَسْمَةٍ أَوْ حِكْمَةٍ أَوْ جَانِبٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ.

أَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ قَدْ أَضَفْتُ شَيْئًا مُهِمًّا إِلَى عَقْلِكَ وَوِجْدَانِكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ، وَأَنْ يَتَحَقَّقَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ الْهَدَفُ الَّذِي أَنْشُدُهُ وَهُوَ مَزِيدٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ.

أحمد سويلم

حِصَانُ الْإِسْكَنْدَرِ الْأَكْبَرِ

تَعَلَّمَ «الْإِسْكَنْدَرُ الْأَكْبَرُ» فَنَّ الْفُرُوسِيَّةِ وَهُوَ صَغِيرٌ؛ فَقَدْ كَانَ أَبُوهُ «فِيلِيب» قَائِدًا مَقْدُونِيًّا عَظِيمًا.. انْتَصَرَ عَلَى الْيُونَانِيِّينَ انْتِصَارًا كَبِيرًا.

وَكَانَ «الْإِسْكَنْدَرُ» فِي صِغَرِهِ يَتَصَرَّفُ وَكَأَنَّهُ أَمِيرٌ، يَعْتَنِي بِمَظْهَرِهِ، وَيَخْرُجُ إِلَى الصَّيْدِ، وَيَحْضُرُ الِاحْتِفَالَاتِ الَّتِي يُقِيمُهَا أَبُوهُ، وَيَجْلِسُ بِجِوَارِهِ.

وَكَانَ «الْإِسْكَنْدَرُ» رَفِيقًا رَحِيمًا بِالْحَيَوَانِ، أَحَبَّ الْخَيْلَ، وَتَفَهَّمَ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِهَا النَّفْسِيَّةِ الْمُتَقَلِّبَةِ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ اشْتَرَى أَبُوهُ «فِيلِيب» حِصَانًا أَسْوَدَ جَمِيلًا، فَوَقَفَ السَّائِسُ يُدَاعِبُهُ وَيُلَاطِفُهُ، قَالَ «فِيلِيب» لِوَلَدِهِ «الْإِسْكَنْدَرِ»:

- هَذَا حَيَوَانٌ أَصِيلٌ، لَمْ أَرَ حِصَانًا أَكْثَرَ مِنْهُ رَوْعَةً وَجَمَالًا!!

قَالَ «الْإِسْكَنْدَرُ»:

- فِعْلًا يَا أَبَتِ، إِنَّهُ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ مَلِكُ الْخُيُولِ.

كَانَ السَّائِسُ يَسْمَعُ هَذَا الْحَدِيثَ وَلَا يُعَلِّقُ بِشَيْءٍ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ بَدَا مُتَجَهِّمًا!! فَسَأَلَهُ «فِيلِيب»:

- لِمَاذَا أَنْتَ مُتَجَهِّمٌ هَكَذَا؟ أَهُنَاكَ عَيْبٌ فِي هَذَا الْحِصَانِ لَا نَعْرِفُهُ؟

أَجَابَ السَّائِسُ:

- هُوَ حِصَانٌ أَصِيلٌ حَقًّا يَا سَيِّدِي، لَكِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ (رَأْسُ الْفَحْلِ)، وَطَبِيعَتُهُ كَاسْمِهِ تَمَامًا، فَهُوَ وَحْشٌ فِي مَظْهَرٍ لَطِيفٍ، لَكِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَيْطِرَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ وُلِدَ عَلَى يَدَيَّ، أَمَّا إِذَا رَكِبَهُ أَحَدٌ غَيْرِي فَإِنَّهُ يُصْبِحُ فَحْلًا شَرِسًا، وَضَرْبُهُ بِالسَّوْطِ يَزِيدُهُ شَرَاسَةً وَتَوَحُّشًا!!

قَالَ «فِيلِيب»:

- أَلَيْسَ هُنَاكَ فِي رِجَالِي مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْكَبَهُ وَيَتَحَكَّمَ فِيهِ؟

قَالَ السَّائِسُ:

- لَا أَظُنُّ يَا سَيِّدِي!



أَمَرَ «فِيلِيب» بِإِحْضَارِ مُدَرِّبِي الْخُيُولِ، وَأَشْجَعِ الْفُرْسَانِ الْعَارِفِينَ بِأَسْرَارِ الْخَيْلِ، وَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُمْ يُجَرِّبُ حَظَّهُ مَعَ (رَأْسِ الْفَحْلِ)، لَكِنَّهُمْ فَشِلُوا جَمِيعًا فِي السَّيْطَرَةِ عَلَيْهِ وَالتَّحَكُّمِ فِيهِ!

وَكَانَ «الْإِسْكَنْدَرُ» يَقِفُ وَيُرَاقِبُ حَرَكَاتِ الْحِصَانِ مَعَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ، وَفَجْأَةً قَالَ لِأَبِيهِ:

- دَعْنِي أُحَاوِلْ مَعَهُ يَا أَبَتِ.

قَالَ «فِيلِيب»:

- لَا يَا وَلَدِي، لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَرَاكَ تُعَرِّضُ حَيَاتَكَ لِلْخَطَرِ مَعَ هَذَا الْحِصَانِ الشَّرِسِ؛ لَقَدْ أَخْفَقَ الْجَمِيعُ، وَهُمْ عَلَى دِرَايَةٍ أَكْثَرَ مِنْكَ بِأُمُورِ الْخُيُولِ!!

لَكِنَّ «الْإِسْكَنْدَرَ» أَصَرَّ عَلَى التَّجْرِبَةِ، وَظَلَّ يُلِحُّ عَلَى أَبِيهِ حَتَّى سَمَحَ لَهُ، فَتَقَدَّمَ بِبُطْءٍ إِلَى حَيْثُ يَقِفُ الْحِصَانُ الشَّرِسُ الَّذِي أَخَذَ يَخْبِطُ الْأَرْضَ بِحَوَافِرِهِ وَكَأَنَّهُ يَتَوَعَّدُهُ. لَاحَظَ «الْإِسْكَنْدَرُ» أَنَّ الْحِصَانَ يُحَاوِلُ جَاهِدًا الِابْتِعَادَ عَنْ ظِلِّهِ؛ حَيْثُ كَانَتِ الشَّمْسُ قَوِيَّةً، فَقَدْ ظَهَرَ ظِلُّهُ الْأَسْوَدُ أَمَامَهُ وَكَأَنَّهُ حِصَانٌ آخَرُ يَرْفُسُ وَيَثِبُ عَلَى قَدَمَيْهِ.

اقْتَرَبَ «الْإِسْكَنْدَرُ» مِنْ أُذُنِ الْحِصَانِ وَهَمَسَ قَائِلًا:

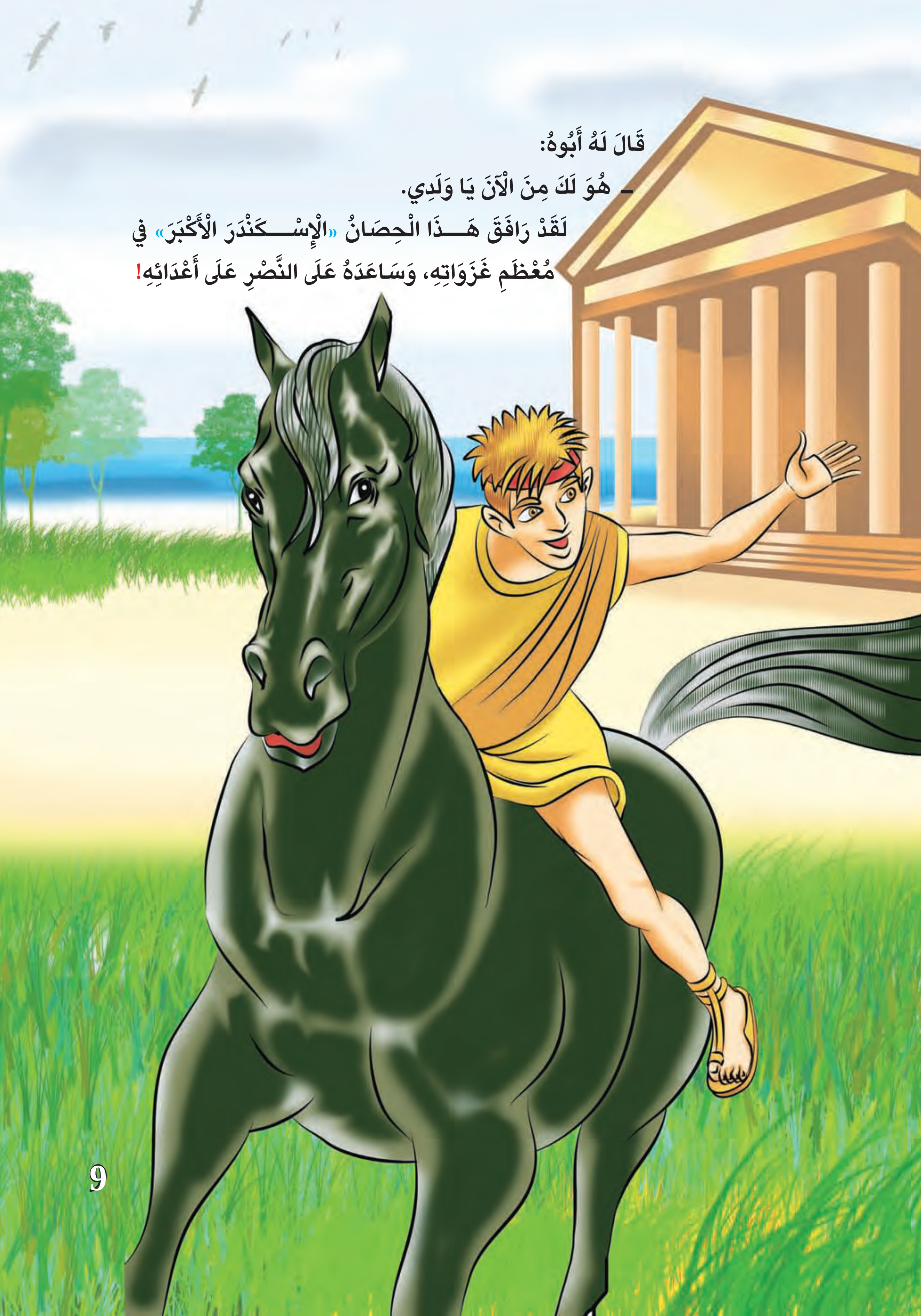
- تَعَالَ.. فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يُخِيفُكَ!

أَدَارَ «الْإِسْكَنْدَرُ» بِلُطْفٍ رَأْسَ الْحِصَانِ بِاتِّجَاهِ الشَّمْسِ بِحَيْثُ لَا يَرَى ظِلَّهُ الْمُمْتَدَّ وَرَاءَهُ، ثُمَّ قَفَزَ بِخِفَّةٍ فَوْقَ ظَهْرِهِ!!

ارْتَعَدَ الْحِصَانُ، لَكِنَّ «الْإِسْكَنْدَرَ» رَبَّتَ ظَهْرَهُ فِي هُدُوءٍ حَتَّى اسْتَسْلَمَ الْحِصَانُ لَهُ، وَأَخَذَ يَسْتَجِيبُ لَهُ، وَيَدُورُ حَوْلَ السَّاحَةِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، ثُمَّ حَانَتْ لَحْظَةُ الِانْطِلَاقِ، فَبَدَأَ الْحِصَانُ يَجْرِي بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ وَ«الْإِسْكَنْدَرُ» يَتَحَكَّمُ فِي قِيَادِهِ وَيُرَبِّتُ ظَهْرَهُ.

لَقَدْ أَحَسَّ الْحِصَانُ بِمَا يَمْلِكُهُ «الْإِسْكَنْدَرُ» مِنْ مَحَبَّةٍ لِلْحَيَوَانِ، عِنْدَئِذٍ هَتَفَ «الْإِسْكَنْدَرُ»:

- لَقَدْ قُلْتُ لَكَ يَا أَبَتِ إِنَّهُ مَلِكُ الْخُيُولِ!



قَالَ لَهُ أَبُوهُ:

ـ هُوَ لَكَ مِنَ الْآنَ يَا وَلَدِي.

لَقَدْ رَافَقَ هَــذَا الْحِصَانُ «الْإِسْــكَنْدَرَ الْأَكْبَرَ» فِي مُعْظَمِ غَزَوَاتِهِ، وَسَاعَدَهُ عَلَى النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ!

الْفَتَى الْفَصِيحُ

عَاشَ الْعَرَبُ قَدِيمًا فِي صَحْرَاءَ شَدِيدَةِ الْجَدْبِ، يَبْحَثُونَ عَنْ مَنَاطِقِ الْخُضْرَةِ هُنَا وَهُنَاكَ.. فَيَرْحَلُونَ إِلَيْهَا، حَتَّى إِذَا أَقْفَرَتِ انْتَقَلُوا إِلَى بُقْعَةٍ غَيْرِهَا.

وَكَانُوا يَسْعَدُونَ لِنُزُولِ الْمَطَرِ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يَمْنَحَهُمْ هَذَا الْمَاءَ الَّذِي يُغَيِّرُ لَوْنَ الصَّحْرَاءِ الْأَصْفَرَ إِلَى الْأَخْضَرِ، وَمِنَ الْجَدْبِ إِلَى النَّمَاءِ.

وَفِي عَصْرِ الْخَلِيفَةِ الْأُمَوِيِّ «هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ» أَصَابَ الصَّحْرَاءَ جَدْبٌ شَدِيدٌ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْمَطَرُ، وَعَانَى النَّاسُ شِدَّةً مِنَ الْجُوعِ وَالْمَرَضِ!

اجْتَمَعَ كِبَارُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَشَاوَرُوا فِي الْأَمْرِ، وَانْتَهَوْا إِلَى ضَرُورَةِ رَفْعِ الْأَمْرِ إِلَى الْخَلِيفَةِ «هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ».

فَتَوَجَّهَ الْكِبَارُ إِلَى قَصْرِ الْخَلِيفَةِ، وَكَانَ بَيْنَ هَذَا الْوَفْدِ فَتًى فِي السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ.

دَخَلَ الْحَاجِبُ عَلَى «هِشَامٍ»، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ بِبَابِهِ وَفْدًا مِنْ كِبَارِ الْعَرَبِ وَمَعَهُمْ صَبِيٌّ صَغِيرُ السِّنِّ.

فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ حَاجِبَهُ بِدَعْوَتِهِمْ لِلدُّخُولِ وَمَعَهُمُ الصَّبِيُّ.

وَدَخَلَ الْقَوْمُ، وَرَحَّبَ بِهِمُ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ سَأَلَهُمْ:

- مَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ؟

وَهُنَا نَظَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْآخَرِ، وَانْعَقَدَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ الْكَلَامِ!! وَخَافُوا أَنْ يُحَدِّثُوهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

فَأَعَادَ «هِشَامٌ» عَلَيْهِمْ سُؤَالَهُ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْطِقُوا بِشَيْءٍ!!

وَهُنَا، قَامَ الْفَتَى مِنْ مَكَانِهِ وَقَالَ:

- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.. هَلْ تَأْذَنُ لِي أَنْ أُحَدِّثَكَ بِمَا لَمْ يُحَدِّثْكَ بِهِ قَوْمِي؟



فَابْتَسَمَ الْخَلِيفَةُ وَقَالَ:

ـ تَفَضَّلْ أَيُّهَا الْفَتَى..

قَالَ الْفَتَى:

ـ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ أَصَابَتْنَا ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ: سَنَةٌ أَذَابَتِ الشَّحْمَ، وَأُخْرَى أَكَلَتِ اللَّحْمَ، وَثَالِثَةٌ دَقَّتِ الْعَظْمَ، وَبَيْنَ أَيْدِيكُمُ الْمَالُ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى.. فَفَرِّقْهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَإِنْ كَانَ لِلرَّعِيَّةِ.. فَلِمَاذَا تَحْبِسُهُ عَنْهُمْ؟! وَإِنْ كَانَ لَكَ وَحْدَكَ، فَتَصَدَّقْ بِهِ عَلَى رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ.

ثُمَّ عَادَ الْفَتَى إِلَى مَكَانِهِ!

وَسَادَ صَمْتٌ قَصِيرٌ، ثُمَّ قَالَ «هِشَامٌ»:

ـ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ هَذَا الْفَتَى لَنَا عُذْرًا فِي وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَدَعْ لَنَا اخْتِيَارًا!!

وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ خَازِنَ بَيْتِ الْمَالِ أَنْ يُخْرِجَ مِئَةَ أَلْفِ دِينَارٍ لِلنَّاسِ، وَلِلْفَتَى مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

ثُمَّ سَأَلَ الْفَتَى:

ـ أَلَكَ حَاجَةٌ أَيُّهَا الْفَتَى الْفَصِيحُ؟

قَالَ الْفَتَى:

ـ لَيْسَتْ لِي حَاجَةٌ خَاصَّةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا حَاجَتِي هِيَ حَاجَةُ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَخَرَجَ الْجَمِيعُ، وَصَارَ لِلْفَتَى شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي قَوْمِهِ!



الشَّيْخُ وَالْجِيرَانُ الثَّلَاثَةُ

مَرَّ شَـــيْخٌ عَاقِلٌ غَرِيبٌ بِإِحْدَى الْقُرَى الصَّغِيرَةِ.. كَانَتِ الْقَرْيَةُ بِهَا بُيُوتٌ بَسِيطَةٌ، فَأَخَذَ يَتَفَقَّدُ طُرُقَاتِهَا وَحُقُولَهَا، وَتَوَقَّفَ أَمَامَ بَيْتٍ تُحِيطُهُ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ، لَكِنَّهَا كَانَتْ جَافَّةً لَيْسَ بِهَا زَرْعٌ.

طَرَقَ الشَّيْخُ بَابَ الْبَيْتِ، فَفَتَحَ لَهُ صَاحِبُهُ «حُسَيْنٌ».

رَحَّبَ «حُسَيْنٌ» بِالشَّيْخِ، وَأَخَذَ يَبْحَثُ فِي بَيْتِهِ عَنْ طَعَامٍ يُقَدِّمُهُ لِضَيْفِهِ فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ الْخُبْزِ الْجَافِّ!

سَأَلَ الشَّيْخُ «حُسيْنًا» قَائِلًا:

ـ لَقَدْ لَاحَظْتُ يَا وَلَدِي أَنَّ لَكَ أَرْضًا وَاسِعَةً، فَأَيْنَ الزَّرْعُ وَأَيْنَ الْمَوَاشِي؟!

قَالَ «حُسَيْنٌ»:

ـ نَعَمْ يَا سَيِّدِي.. أَرْضِي وَاسِعَةٌ كَمَا تَرَى، لَكِنَّ الْمَاءَ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا!!

قَالَ الشَّيْخُ:

ـ لِمَاذَا؟

قَالَ «حُسَيْنٌ»:

ـ لَيْسَ لَدَيَّ سَاقِيَةٌ وَلَا بَقَرَةٌ!

انْصَرَفَ الشَّيْخُ عَنْ بَيْتِ «حُسَيْنٍ» إِلَى بَيْتِ جَارِهِ «مَحْمُودٍ».

لَاحَظَ الشَّيْخُ أَنَّ لَدَى «مَحْمُودٍ» سَاقِيَةً لَا تَعْمَلُ.

طَرَقَ الشَّيْخُ بَابَ «مَحْمُودٍ»، فَاسْتَقْبَلَهُ وَحَاوَلَ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُ طَعَامًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَدَيْهِ سِوَى الْخُبْزِ الْجَافِّ!!

قَالَ الشَّيْخُ لِـ «مَحْمُودٍ»:

ـ يَا وَلَدِي إِنَّ لَدَيْكَ سَـــاقِيَةً لَا تَعْمَلُ، لَكِنْ يُمْكِنُ إِصْلَاحُهَا، وَجَارُكَ «حُسَيْنٌ» لَدَيْهِ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ، فَإِذَا دَارَتِ السَّاقِيَةُ لِتَرْوِيَ أَرْضَ «حُسَيْنٍ» فَسَوْفَ يَزْرَعُ وَيَأْكُلُ، وَأَنْتَ مَعَهُ تُشَارِكُهُ ذَلِكَ، وَتَرْعَيَانِ مَعًا!

قَالَ «مَحْمُودٌ»:

ـ نَعَمْ يَا سَيِّدِي.. لَدَيَّ سَاقِيَةٌ وَيُمْكِنُ إِصْلَاحُهَا، لَكِنْ لَيْسَ لَدَيَّ بَقَرَةٌ تُدِيرُهَا!

انْصَرَفَ الشَّيْخُ إِلَى جَارٍ ثَالِثٍ وَكَانَ اسْمُهُ «سَعِيدًا» فَوَجَدَ عِنْدَهُ بَقَرَةً.

سَأَلَهُ الشَّيْخُ:

ـ هَلْ أَجِدُ لَدَيْكَ طَعَامًا وَحَلِيبًا؟

قَالَ «سَعِيدٌ»:

ـ لَدَيَّ بَقَرَةٌ، لَكِنَّهَا هَزِيلَةٌ لَا تُعْطِي لَبَنًا!

قَالَ الشَّيْخُ:

ـ عَجَبًا، عِنْدَكَ بَقَرَةٌ، وَجَارُكَ «مَحْمُودٌ» لَدَيْهِ سَاقِيَةٌ، وَجَارُكَ «حُسَيْنٌ» عِنْدَهُ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ مُجْدِبَةٌ، فَلِمَاذَا لَا تَتَعَاوَنُونَ جَمِيعًا؛ فَتُقَدِّمَ الْبَقَرَةَ لِتُدِيرَ السَّاقِيَةَ، وَتَسْقِيَ الْأَرْضَ، وَتَزْرَعُوهَا، وَيُعَمَّ الْخَيْرُ عَلَى الْجَمِيعِ؟!

جَمَعَ الشَّيْخُ الْجِيرَانَ الثَّلَاثَةَ وَسَأَلَهُمْ:

ـ مَا سَبَبُ الْخِصَامِ بَيْنَكُمْ؟

سَكَتَ الْجَمِيعُ، ثُمَّ قَالَ «حُسَيْنٌ»:

ـ هَذِهِ عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ يَا سَيِّدِي لَا أَعْرِفُ لَهَا سَبَبًا.

قَالَ الشَّيْخُ:

ـ أَمَا آنَ أَنْ تَتَصَالَحُوا فَتَمْتَلِئَ بُيُوتُكُمْ بِالْخَيْرِ؟!

تَعَاوَنَ الْجِيرَانُ الثَّلَاثَةُ، وَدَارَتِ السَّاقِيَةُ، وَجَرَى الْمَاءُ، وَنَمَا الزَّرْعُ، وَأَقْبَلَ الْجَمِيعُ عَلَى الْعَمَلِ، وَذَهَبَ الْخِلَافُ، وَعَمَّتِ الْمَحَبَّةُ!

وَحِينَمَا اطْمَأَنَّ الشَّيْخُ إِلَى انْتِشَارِ الْخَيْرِ وَالْمَوَدَّةِ، وَدَّعَهُمْ وَذَهَبَ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ!!



السُّلْطَانِيَّةُ

هَذِهِ إِحْدَى الْحِكَايَاتِ الشَّعْبِيَّةِ الطَّرِيفَةِ عَنْ رَجُلٍ فَقِيرٍ يُسَمَّى «مَرْزُوقًا».. لَدَيْهِ دُكَّانٌ صَغِيرٌ يَبِيعُ فِيهِ الْحَلْوَى، وَإِلَى جِوَارِهِ دُكَّانٌ آخَرُ كَبِيرٌ لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يُسَمَّى «سَعْفَانَ» مَشْهُورٍ بِصُنْعِ الْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ.

اعْتَادَ «مَرْزُوقٌ» أَنْ يُصَلِّيَ الْفَجْرَ كُلَّ يَوْمٍ، ثُمَّ يَذْهَبَ إِلَى دُكَّانِهِ وَيَظَلَّ يَصْنَعُ الْحَلْوَى لِتَكُونَ جَاهِزَةً فِي الصَّبَاحِ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْهُ.

كَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَ «مَرْزُوقًا» وَيُقْبِلُونَ عَلَى حَلْوَاهُ، وَكَانَ يَبِيعُ لَهُمْ بِأَسْعَارٍ تُنَاسِبُهُمْ، وَيَقْنَعُ بِرِبْحٍ قَلِيلٍ، وَفِي آخِرِ الْيَوْمِ يَعُودُ إِلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ بِالطَّعَامِ وَالرِّزْقِ الْقَلِيلِ، أَمَّا «سَعْفَانُ» فَقَدْ حَقَدَ عَلَى جَارِهِ «مَرْزُوقٍ»؛ لِأَنَّهُ لَاحَظَ حُبَّ النَّاسِ الْبُسَطَاءِ لَهُ.

وَفِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ كَانَ «مَرْزُوقٌ» يُنَظِّفُ أَمَامَ دُكَّانِهِ وَيَرُشُّ الْمَاءَ، فَجَرَى بَعْضُ الْمَاءِ أَمَامَ دُكَّانِ جَارِهِ «سَعْفَانَ»، الَّذِي أَخَذَ يَصِيحُ فِي وَجْهِ «مَرْزُوقٍ» وَيُهَدِّدُهُ بِتَحْطِيمِ دُكَّانِهِ، وَاتَّهَمَهُ بِالتَّعَدِّي عَلَى دُكَّانِهِ حِينَمَا تَرَكَ الْمَاءَ يَجْرِي نَحْوَهُ! اعْتَذَرَ «مَرْزُوقٌ» لِجَارِهِ وَوَعَدَهُ بِمُرَاعَاةِ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ.

وَفِي يَوْمٍ آخَرَ اشْتَرَى بَعْضُ الْأَوْلَادِ مِنْ «مَرْزُوقٍ» بَعْضَ الْحَلْوَى، وَوَقَفُوا يَأْكُلُونَهَا أَمَامَ دُكَّانِ «سَعْفَانَ»، فَوَقَعَتْ قِطْعَةُ حَلْوَى أَمَامَ الدُّكَّانِ، فَخَرَجَ «سَعْفَانُ» مِنَ الدُّكَّانِ، وَبَدَلًا مِنْ مُسَاءَلَةِ الطِّفْلِ الَّذِي وَقَعَتْ مِنْهُ الْحَلْوَى، صَاحَ فِي وَجْهِ «مَرْزُوقٍ» وَهَدَّدَهُ بِإِبْلَاغِ الشُّرْطَةِ؛ لِأَنَّهُ يَتَسَبَّبُ فِي عَدَمِ نَظَافَةِ الشَّارِعِ.

أَخَذَ «سَعْفَانُ» كُلَّ يَوْمٍ يَخْتَرِعُ سَبَبًا لِتَهْدِيدِ «مَرْزُوقٍ»، حَتَّى ضَاقَ «مَرْزُوقٌ» بِحَيَاتِهِ، وَفِي يَوْمٍ قَالَ لِزَوْجَتِهِ:

ـ لَمْ يَعُدْ لَدَيَّ طَاقَةٌ أَتَحَمَّلُ بِهَا إِهَانَةَ «سَعْفَانَ».

قَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ:

- اصْبِرْ يَا «مَرْزُوقُ» عَلَى جَارِ السُّوءِ كَمَا يَقُولُونَ.

فِي الْيَـــوْمِ التَّالِي، صَلَّى «مَرْزُوقٌ» الْفَجْرَ كَعَادَتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى دُكَّانِهِ، فَوَجَدَ بَابَهُ مَكْسُورًا، وَوَجَدَ الْأَدَوَاتِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا مُلْقَاةً فِي الشَّارِعِ.

عَادَ «مَرْزُوقٌ» إِلَى زَوْجَتِهِ حَزِينًا وَمَعَهُ بَعْضُ الْأَدَوَاتِ وَالْأَوْعِيَةِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ رِزْقِهِ فِي بَلَدٍ آخَرَ، حَاوَلَتْ زَوْجَتُهُ أَنْ تَثْنِيَهُ عَنْ هَذَا الْقَرَارِ، لَكِنَّهُ أَقْنَعَهَا بِأَنَّهُ سَوْفَ يُسَافِرُ لِبِضْعَةِ أَيَّامٍ، وَرُبَّمَا يَعُودُ بِرِزْقٍ وَفِيرٍ، فَأَعْطَتْهُ زَوْجَتُهُ سُلْطَانِيَّةً مَمْلُوءَةً بِالطَّعَامِ تَكْفِيهِ يَوْمَيْنِ، وَأَخَذَتْ تَدْعُو لَهُ أَنْ يُوَفِّقَهُ اللَّهُ.

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي خَرَجَ «مَرْزُوقٌ» إِلَى الشَّـــاطِئِ، فَرَأَى سَـــفِينَةً تَسْتَعِدُّ لِلْإِبْحَارِ، فَطَلَبَ مِنْ صَاحِبِهَا أَنْ يُسَافِرَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ:

- لَا يُوجَدُ لَكَ مَكَانٌ، وَلَيْسَ عَلَى السَّـــفِينَةِ مَكَانٌ لِأَيِّ شَـــيْءٍ تَحْمِلُهُ، وَنَحْنُ مُسَافِرُونَ إِلَى بِلَادٍ بَعِيدَةٍ، وَقَدْ نَغِيبُ طَوِيلًا.

قَالَ «مَرْزُوقٌ»:

- أَرْجُوكَ يَا سَيِّدِي.. خُذْنِي مَعَكَ، وَمَعِي لَكَ طَعَامٌ شَهِيٌّ فِي هَذِهِ السُّلْطَانِيَّةِ.

قَالَ: وَهَلْ لَدَيْكَ شَيْءٌ آخَرُ تَحْمِلُهُ؟

قَالَ «مَرْزُوقٌ»: لَيْسَ مَعِي أَيُّ شَيْءٍ يَا سَيِّدِي!

وَافَقَ صَاحِبُ السَّـــفِينَةِ عَلَى سَفَرِ «مَرْزُوقٍ» مَعَهُ، وَوَجَّهَهُ لِلْعَمَلِ فِي مَطْبَخِ السَّفِينَةِ. وَسَـــارَتِ السَّـــفِينَةُ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ، حَتَّى دَخَلَتْ مِنْطَقَةً شَدِيدَةَ الرِّيَاحِ أَخَذَتْ تَعْصِفُ بِالْأَشْرِعَةِ. فَصَاحَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ:

- نَحْنُ فِي خَطَرٍ أَيُّهَا الْمُسَافِرُونَ، وَسَوْفَ تَغْرَقُ السَّفِينَةُ؛ لِأَنَّنَا فِي بَحْرِ الظُّلُمَاتِ، كُلٌّ مِنْكُمْ يُحَاوِلُ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ أَقَلَّ الْأَشْيَاءِ، وَيَقْفِزَ فِي الْمَاءِ.

أَحْضَرَ «مَرْزُوقٌ» السُّلْطَانِيَّةَ وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ وَرَبَطَهَا بِعِمَامَتِهِ، ثُمَّ نَزَعَ لَوْحًا خَشَـــبِيًّا فِي أَثْنَاءِ غَرَقِ السَّفِينَةِ وَتَعَلَّقَ بِهِ، وَأَخَذَ يَعُومُ وَيَعُومُ يَوْمًا كَامِلًا



حَتَّى لَاحَتْ لَهُ جَزِيرَةٌ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَصِلَ بَعْدَ جُهْدٍ إِلَى الْجَزِيرَةِ، فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَرَاحَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ.

وَحِينَمَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ رَأَى عَدَدًا مِنَ الْجُنُودِ سُودِ الْبَشَرَةِ قَدْ أَحَاطُوا بِهِ، وَقَيَّدُوهُ بِالْحِبَالِ، وَحَمَلُوهُ إِلَى حَاكِمِ الْجَزِيرَةِ، وَكَانَ الْحَاكِمُ عِمْلَاقًا أَسْوَدَ وَاسِعَ الْعَيْنَيْنِ غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ، صَاحَ فِي وَجْهِهِ:

ـ مَنْ أَنْتَ؟ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ وَمَاذَا تُرِيدُ؟

تَوَقَّفَتِ الْكَلِمَاتُ بِحَلْقِ «مَرْزُوقٍ» مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ!!

وَوَاصَلَ الْحَاكِمُ صِيَاحَهُ:

ـ عَدُوٌّ أَنْتَ أَمْ صَدِيقٌ؟

وَهُنَا رَدَّ «مَرْزُوقٌ»:

ـ بَلْ صَدِيقٌ، وَاللَّهِ صَدِيقٌ!

صَاحَ الْحَاكِمُ:

ـ إِذَا كُنْتَ صَدِيقًا حَقًّا، فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ، أَيْنَ الْهَدَايَا؟ أَيْنَ رِجَالُكَ؟

قَالَ «مَرْزُوقٌ»:

ـ أَمَّا رِجَالِي فَقَدْ غَرِقُوا جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ يَا سَيِّدِي! وَالْهَدَايَا.. الْهَدَايَا!!

صَاحَ الْحَاكِمُ:

ـ نَعَمْ الْهَدَايَا يَا رَجُلُ!

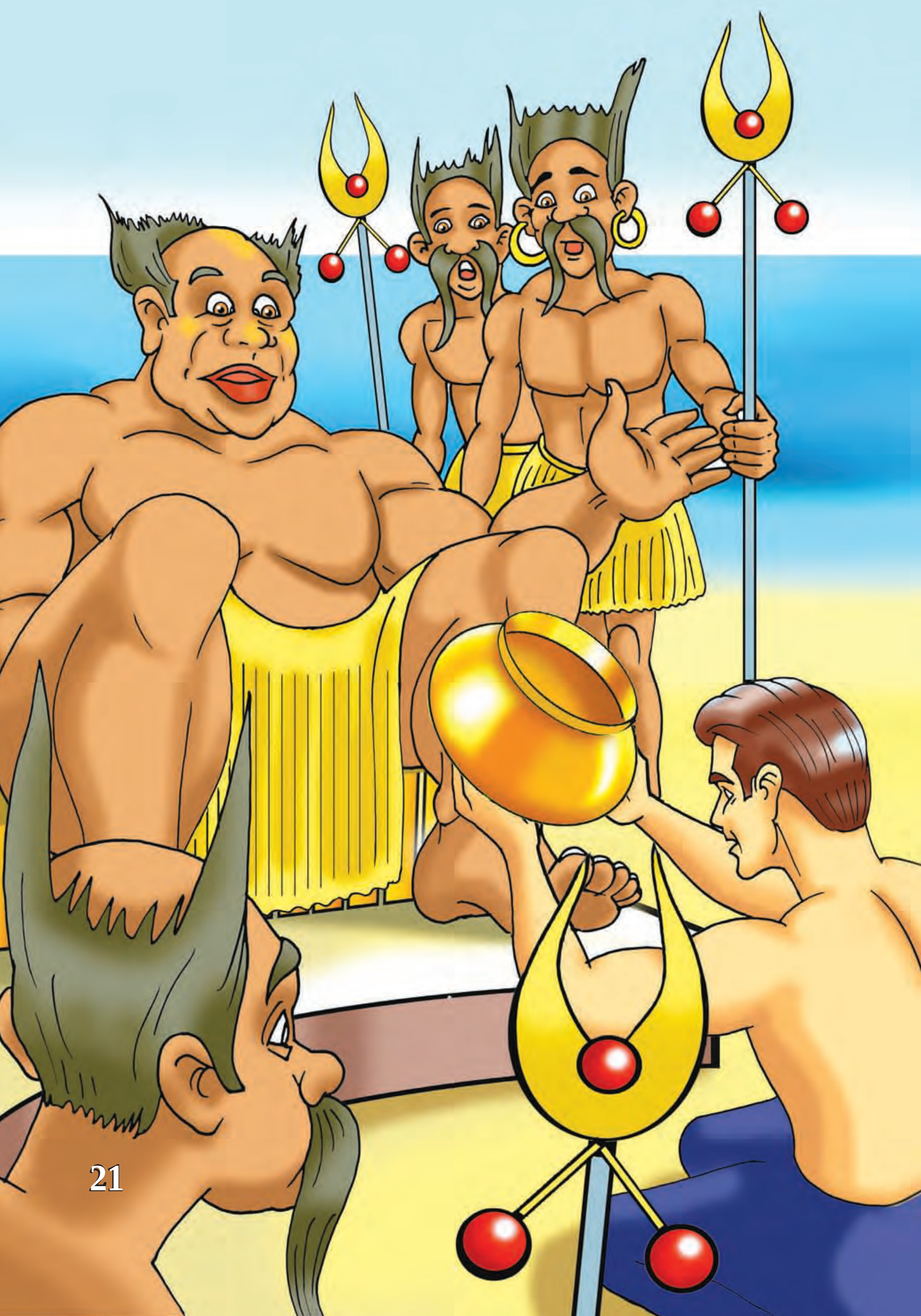
تَحَسَّسَ «مَرْزُوقٌ» رَأْسَهُ فَوَجَدَ السُّلْطَانِيَّةَ، فَقَالَ:

ـ غَرِقَتْ كُلُّهَا مَا عَدَا هَذِهِ السُّلْطَانِيَّةَ.

وَأَخَذَ «مَرْزُوقٌ» يَفُكُّ عِمَامَتَهُ عَنِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَقَدَّمَهَا لِلْحَاكِمِ.

وَسَادَتْ فَتْرَةُ صَمْتٍ، وَأَخَذَ الْحَاكِمُ يَتَأَمَّلُ هَذَا الْوِعَاءَ، ثُمَّ صَاحَ فِي دَهْشَةٍ وَسَعَادَةٍ:

ـ أَخِيرًا.. تَاجٌ، تَاجٌ عَظِيمٌ، تَاجُ حَاكِمِ الْجَزِيرَةِ!!



وَضَعَ الْحَاكِمُ السُّـــلْطَانِيَّةَ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ وَالسُّرُورِ، وَأَمَرَ بِمُعَامَلَةِ «مَرْزُوقٍ» مُعَامَلَةً حَسَنَةً، وَقَالَ لَهُ:

- سَوْفَ تَعُودُ إِلَى بَلَدِكَ وَمَعَكَ الذَّهَبُ وَالْجَوَاهِرُ وَالْهَدَايَا.

ثُمَّ أَمَرَ رِجَالَهُ بِتَجْهِيزِ سَفِينَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْهَدَايَا.

وَيَعُودُ «مَرْزُوقٌ» إِلَى بَلَدِهِ بَعْدَ غَيْبَةٍ طَوِيلَةٍ، فَبَنَى بَيْتًا جَمِيلًا وَاسِعًا وَعَاشَ فِيهِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَأَقَامَ الْوَلَائِمَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

سَمِعَ جَارُهُ الْقَدِيمُ «سَعْفَانُ» بِمَا يَفْعَلُهُ «مَرْزُوقٌ»، فَطَرَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ وَأَخَذَ يَعْتَذِرُ لَهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ سِرِّ هَذَا الثَّرَاءِ الْكَبِيرِ!!

حَكَى لَهُ «مَـــرْزُوقٌ» هَذِهِ الرِّحْلَةَ الْخَطِيرَةَ، وَعَـــنِ الْجَزِيرَةِ وَحَاكِمِهَا، وَمَا حَدَثَ لَهُ حَتَّى عَادَ بِالذَّهَبِ وَالْهَدَايَا.

عَادَ «سَـــعْفَانُ» إِلَى دُكَّانِهِ، وَقَرَّرَ أَنْ يُسَـــافِرَ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَيَأْخُذَ مَعَهُ الْمَلَابِسَ الْفَاخِرَةَ لِلْحَاكِمِ وَرِجَالِهِ؛ طَمَعًا فِي عَوْدَتِهِ بِالذَّهَبِ وَالْهَدَايَا أَكْثَرَ مِمَّا حَدَثَ مَعَ «مَرْزُوقٍ»!

اسْتَطَاعَ «سَعْفَانُ» أَنْ يَصِلَ إِلَى حَاكِمِ الْجَزِيرَةِ، وَأَخَذَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ الْمَلَابِسَ الْفَاخِـــرَةَ الْقُطْنِيَّةَ وَالصُّوفِيَّةَ وَالْكَتَّانِيَّةَ وَالْحَرِيرِيَّةَ، وَالْحَاكِمُ تَزْدَادُ سَـــعَادَتُهُ كُلَّمَا رَأَى مَلَابِسَ جَدِيدَةً، وَقَالَ:

- إِنَّهَا هَدَايَا عَظِيمَةٌ جِدًّا، لَمْ نَشْهَدْ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ!! فَمَاذَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُكَافِئَكَ بِهِ، لَابُدَّ أَنْ أُكَافِئَكَ بِأَغْلَى شَيْءٍ أَمْتَلِكُهُ: إِنَّهُ تَاجُ الْجَزِيرَةِ!!

وَخَلَعَ الْحَاكِمُ السُّـــلْطَانِيَّةَ مِنْ فَوْقِ رَأْسِـــهِ وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِ «سَعْفَانَ» وَسَطَ هُتَافِ وَغِنَاءِ الرِّجَالِ!! ثُمَّ جَهَّزُوا لَهُ سَفِينَةً وَوَدَّعُوهُ.

أَدْرَكَ «سَـــعْفَانُ» نَتِيجَةَ طَمَعِهِ وَحِقْدِهِ عَلَى «مَرْزُوقٍ»؛ فَقَدْ عَادَ بَعْدَ رِحْلَتِهِ خَاسِرًا!! عَادَ بِتَاجِ الْجَزِيرَةِ، سُلْطَانِيَّةِ «مَرْزُوقٍ»!!!



المَوْتُ وَالْحَيَاةُ

قَالَ حَكِيمٌ صِينِيٌّ لِقَائِدٍ مِنْ قُوَّادِ الْجَيْشِ كَانَ يُعَسْكِرُ بِجِوَارِهِ:

ـ لَا فَرْقَ عِنْدِي بَيْنَ أَنْ أَمُوتَ أَوْ أَحْيَا!!

انْدَهَشَ الْقَائِدُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ؛ فَهُوَ يُدْرِكُ أَنَّ مِنْ حَقِّ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعِيشَ حَيَاتَهُ لَا أَنْ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ!!

فَسَأَلَ الْحَكِيمَ:

ـ إِذَنْ لِمَاذَا تَعِيشُ وَتَتَمَسَّكُ بِالْحَيَاةِ؟

قَالَ الْحَكِيمُ:

ـ إِنَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ سَوَاءٌ عِنْدِي، فَلِمَاذَا أَسْعَى لِلْمَوْتِ إِذَا كَانَ يُسَاوِي الْحَيَاةَ وَلَا يَفْضُلُهَا؟! وَلِمَاذَا أَسْعَى لِلْحَيَاةِ إِذَا كَانَتْ تُسَاوِي الْمَوْتَ وَلَا تَفْضُلُهُ؟!

وَكَانَ جَوَابًا مُفْحِمًا لِلْقَائِدِ، لَكِنَّهُ جَوَابٌ سَبَّبَ لَهُ حَيْرَةً شَدِيدَةً!!

وَعَادَ الْقَائِدُ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ، وَحَكَى لَهُ مَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَكِيمِ، ثُمَّ قَالَ:

ـ أَعْتَقِدُ يَا مَوْلَايَ أَنَّ هَذَا الْحَكِيمَ لَا يَقُولُ الْحَقِيقَةَ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ لَوْ أَنَّهُ يُحِسُّ بِخَطَرِ الْمَوْتِ، وَلَوْ كَانَ جُنْدِيًّا فِي الْجَيْشِ مِثْلَنَا يُوَاجِهُ الْهَلَاكَ كُلَّ لَحْظَةٍ لَعَرَفَ قِيمَةَ الْحَيَاةِ.

فَكَّرَ الْمَلِكُ لَحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ:

ـ مَا رَأْيُكَ لَوْ نَخْتَبِرُهُ فِيمَا يَعْتَقِدُهُ؟

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي نُصِبَتْ خَيْمَةُ الْمَلِكِ بِالْقُرْبِ مِنْ كُوخِ الْحَكِيمِ، ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ تُطْلَقَ أَشْرَسُ سِبَاعِهِ فِي الْغَابَةِ الَّتِي يَتَعَبَّدُ فِيهَا الْحَكِيمُ.

وَانْتَظَرَ الْجَمِيعُ مَاذَا يَفْعَلُ هَذَا الْحَكِيمُ أَمَامَ هَذَا الْخَطَرِ!

أَمَّا الْأُسُودُ فَقَدْ سَعِدَتْ بِالْحُرِّيَّةِ الْجَدِيدَةِ، وَانْطَلَقَتْ تَزْأَرُ هُنَا وَهُنَاكَ حَتَّى مَلَأَتِ الْغَابَةَ بِهَذَا الزَّئِيرِ، وَوَصَلَ إِلَى أَسْمَاعِ الْحَكِيمِ صَوْتُهَا.



فَأَحَسَّ الْحَكِيمُ بِالْخَطَرِ، وَرَأَى عَلَى الْبُعْدِ خَيْمَةَ الْمَلِكِ، فَأَسْرَعَ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ حَتَّى وَصَلَ الْخَيْمَةَ وَنَبْضُهُ يَكَادُ يَتَوَقَّفُ مِنْ شِدَّةِ الْعَدْوِ!!

دَخَلَ الْحَكِيمُ عَلَى الْمَلِكِ.. وَجَلَسَ مُنْهَكًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ:

ـ النَّجْدَةَ يَا مَوْلَايَ؛ إِنَّ الْأُسُودَ قَدْ مَلَأَتِ الْغَابَةَ، وَهَدَّدَتْ حَيَاتِي، وَلَمْ تَعُدِ الْغَابَةُ آمِنَةً يَا مَوْلَايَ، وَقَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ لِأَنَّكَ الْمَلِكُ وَالْمَسْؤولُ عَنْ سَلَامَةِ رَعِيَّتِكَ.

وَهُنَا ضَحِكَ الْمَلِكُ وَاسْتَدْعَى الْقَائِدَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَكِيمِ:

ـ أَيُّهَا الْحَكِيمُ.. لَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُ بِحِمَايَةِ الْغَابَةِ لَوْلَا أَنَّ الْقَائِدَ أَخْبَرَنِي أَنَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ سَوَاءٌ لَدَيْكَ.. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

طَأْطَأَ الْحَكِيمُ رَأْسَهُ خَجَلًا!!

وَوَاصَلَ الْمَلِكُ حَدِيثَهُ قَائِلًا:

ـ وَهَأَنَذَا أَرَاكَ مُحِبًّا لِلْحَيَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا تُحِبُّ الْمَوْتَ!

أَدْرَكَ الْحَكِيمُ كَمْ كَانَ مُخْطِئًا.. فَاعْتَذَرَ لِلْمَلِكِ وَالْقَائِدِ وَقَالَ:

ـ حَقًّا.. لَقَدْ جِئْنَا إِلَى الْحَيَاةِ لِنَعِيشَهَا، أَمَّا الْمَوْتُ فَهُوَ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ!!





الدَّعَوَاتُ الثَّلَاثُ

كَانَ يُعْتَقَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَرْتَكِبُ كَبِيرَةً وَلَا صَغِيرَةً، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ لَهُ ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ!!

وَعَاشَ أَحَدُ النَّاسِ عَابِدًا زَاهِدًا أَرْبَعِينَ سَنَةً، لَا يُسِيءُ إِلَى أَحَدٍ.. وَيَرْعَى امْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ الثَّلَاثَةَ.

وَآنَ لِهَذَا الزَّاهِدِ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ.

وَلِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ تَمَامًا بِمَاذَا يَدْعُو؛ فَقَدْ سَأَلَ زَوْجَتَهُ لِكَيْ تُشِيرَ عَلَيْهِ، وَظَنَّ أَنَّهَا امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ صَادِقَةٌ.

فَلَمَّا سَأَلَهَا قَالَتْ:

- تَعْلَمُ أَنَّنِي لَيْسَ لِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَأَوْلَادِي الثَّلَاثَةِ، وَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُنِي أَنْ أُشِيرَ عَلَيْكَ، فَادْعُ رَبَّكَ أَنْ يَمْنَحَنِي جَمَالًا لَيْسَ مِثْلُهُ جَمَالٌ؛ حَتَّى أُدْخِلَ عَلَى نَفْسِكَ السُّرُورَ كُلَّمَا نَظَرْتَ إِلَيَّ.

وَعَلَى الْفَوْرِ.. دَعَا الرَّجُلُ رَبَّهُ أَنْ يَمْنَحَ زَوْجَتَهُ جَمَالًا لَيْسَ لِوَاحِدَةٍ مِنْ بَنَاتِ حَوَّاءَ.

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَاءِ هَذَا الزَّاهِدِ.

وَرَأَتِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فِي الْمِرْآةِ، فَإِذَا وَجْهُهَا وَجْهُ مَلَاكٍ جَمِيلٍ رَقِيقٍ، فَأَخَذَتْ تَتَأَمَّلُ وَجْهَهَا كُلَّ يَوْمٍ وَهِيَ سَعِيدَةٌ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ نَظَرَتِ الْمَرْأَةُ حَوْلَهَا، وَلَعِبَ بِعَقْلِهَا الشَّـيْطَانُ، وَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا قَائِلَةً:

ـ كَيْفَ أَعِيشُ وَأَنَا بِهَذَا الْجَمَـالِ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ الزَّاهِدِ الْقَانِعِ بِالْقَلِيلِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ إِلَى كَسْبِ الْحَيَاةِ سَبِيلًا؟! أَلَيْسَ جَمَالِي هَذَا جَدِيرًا بِمَلِكٍ عَظِيمٍ يُوَفِّرُ لِيَ أَسْبَابَ السَّـعَادَةِ وَالْهَنَاءِ، فَأَعِيشَ مُنَعَّمَةً مُكَرَّمَةً، وَأَلْبَسَ اللَّآلِئَ وَالْجَوَاهِرَ الَّتِي تُزَيِّنُ جَمَالِي هَذَا؟!!

وَهَكَذَا وَسْـوَسَ لَهَا الشَّـيْطَانُ؛ فَأَخَذَتْ تُؤَنِّبُ زَوْجَهَا عَلَى فَقْرِهِ وَتَقَاعُدِهِ عَنِ الْكَسْبِ، وَأَهْمَلَتْ أَوْلَادَهَا، وَأَخَذَتْ تَجْلِسُ أَمَامَ الْمِرْآةِ سَاعَاتٍ طُوَالًا تَتَأَمَّلُ جَمَالَهَا، وَتَضَعُ الْمَسَاحِيقَ!

أَحَسَّ الرَّجُلُ الزَّاهِدُ بِمَا فِي زَوْجَتِهِ مِنْ صَلَفٍ وَغُرُورٍ، فَبَدَأَ يَنْصَحُهَا، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ لَهُ، وَوَاصَلَتْ إِهْمَالَ بَيْتِهَا وَأَوْلَادِهَا!!

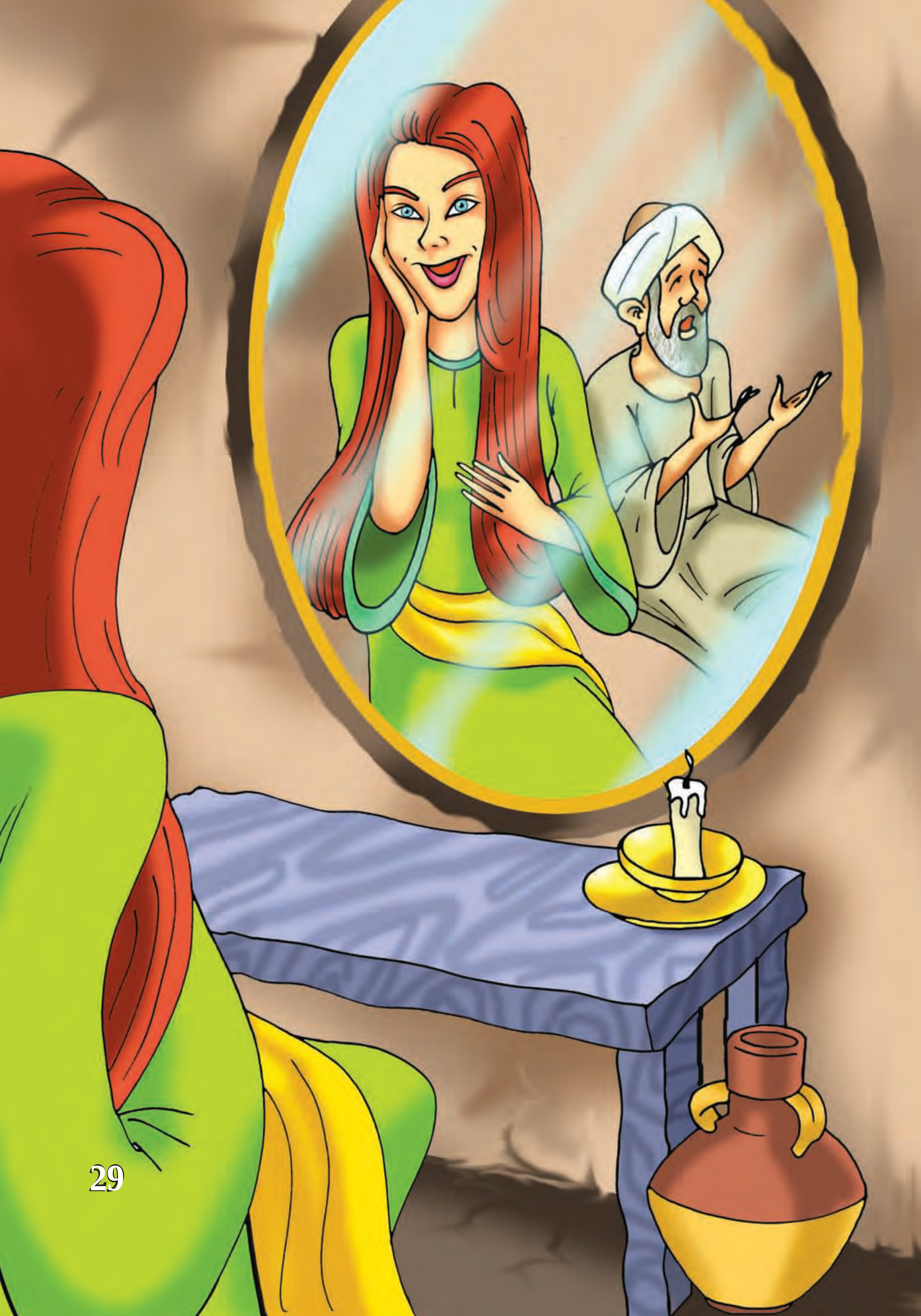
رَفَعَ الزَّاهِدُ وَجْهَهُ إِلَى السَّـمَاءِ، وَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُعَاقِبَ زَوْجَتَهُ فَيَجْعَلَهَا دَابَّةً تَهِيمُ عَلَى وَجْهِهَا!!

وَاسْـتَجَابَ اللَّهُ لِدَعْوَةِ الزَّاهِدِ الثَّانِيَةِ، وَتَحَوَّلَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَقَرَةٍ أَخَذَتْ تَحُومُ حَوْلَ الْبَيْتِ، وَتَلْتَصِقُ بِجُدْرَانِهِ، وَالدَّمْعُ يَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهَا.

وَأَخَذَ الرَّجُلُ يَرْعَى أَوْلَادَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَصْبَحَ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا، وَرَأَى أَطْفَالَهُ وَقَدِ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ حُزْنًا لِفَقْدِ أُمِّهِمْ.

وَفِي يَوْمٍ دَخَلَ الْأَوْلَادُ عَلَى أَبِيهِمْ يَبْكُونَ؛ فَقَدِ اشْتَاقُوا إِلَى أُمِّهِمْ، وَأَحَسُّوا أَنَّهُمْ يَضِيعُونَ بِلَا أُمٍّ تَرْعَاهُمْ.

وَكَانَتِ الدَّعْـوَةُ الثَّالِثَةُ.. أَنْ يُعِيدَ اللَّهُ زَوْجَتَهُ كَمَا كَانَـتْ قَبْلَ الدَّعْوَةِ الْأُولَى، فَاسْـتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَانْتَهَتِ الدَّعَـوَاتُ الثَّلَاثُ، وَنَدِمَـتِ الزَّوْجَةُ عَلَى صَلَفِهَا وَغُرُورِهَا، وَعَادَ الرَّجُلُ يَتَمَنَّى أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ أَرْبَعِينَ عَامًا أُخْرَى؛ لِكَيْ يَسْـتَطِيعَ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ وَيَقْبَلَ مِنْهُ الدُّعَاءَ!!



الْعَمَلُ الصَّالِحُ

يُحْكَى عَنْ رَجُلٍ مَيْسُورِ الْحَالِ، لَمْ يَكُنْ يُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الْقَلِيلَ، أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ حُلْمًا عَجِيبًا.

رَأَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدِ اقْتَرَبَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ فَجَعَلَتْهَا مِثْلَ جَمْرَةٍ مِنَ النَّارِ، وَرَأَى النَّاسَ يَشْكُونَ الْجُوعَ وَالْعَطَشَ وَالْحَرَارَةَ، وَالْمُذْنِبِينَ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ، وَيُسْأَلُونَ عَنْهَا، وَيُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

ثُمَّ رَأَى الْمِيزَانَ، وَرَأَى كِفَّتَيْهِ تَتَأَرْجَحَانِ، وَعَلَيْهِمَا أَعْمَالُ النَّاسِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَمِنَ الْأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ.

ثُمَّ رَأَى الصِّرَاطَ وَكَيْفَ يَسِيرُ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَهْوِي إِلَى النَّارِ، وَبَعْضُهُمْ يُفْلِحُ فِي عُبُورِهِ إِلَى النَّعِيمِ.

وَكَانَ يَسْتَمِعُ إِلَى أَصْوَاتٍ تَقُولُ: لَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْكُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَبَيَّنُوا لَكُمْ أَحْكَامَ دِينِكُمْ، وَحَدَّثُوكُمْ عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَمَرُوكُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَدَعَوْكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، فَمَاذَا فَعَلْتُمْ بِهَذَا كُلِّهِ؟؟

ثُمَّ الْتَفَتَ الرَّجُلُ فِي مَنَامِهِ فَرَأَى عَلَى قِمَّةِ تَلٍّ رَجُلًا مُتَّشِحًا بِثَوْبٍ أَزْرَقَ، وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مُضِيءٌ، وَوَرَاءَهُ ظِلٌّ جَمِيلٌ.

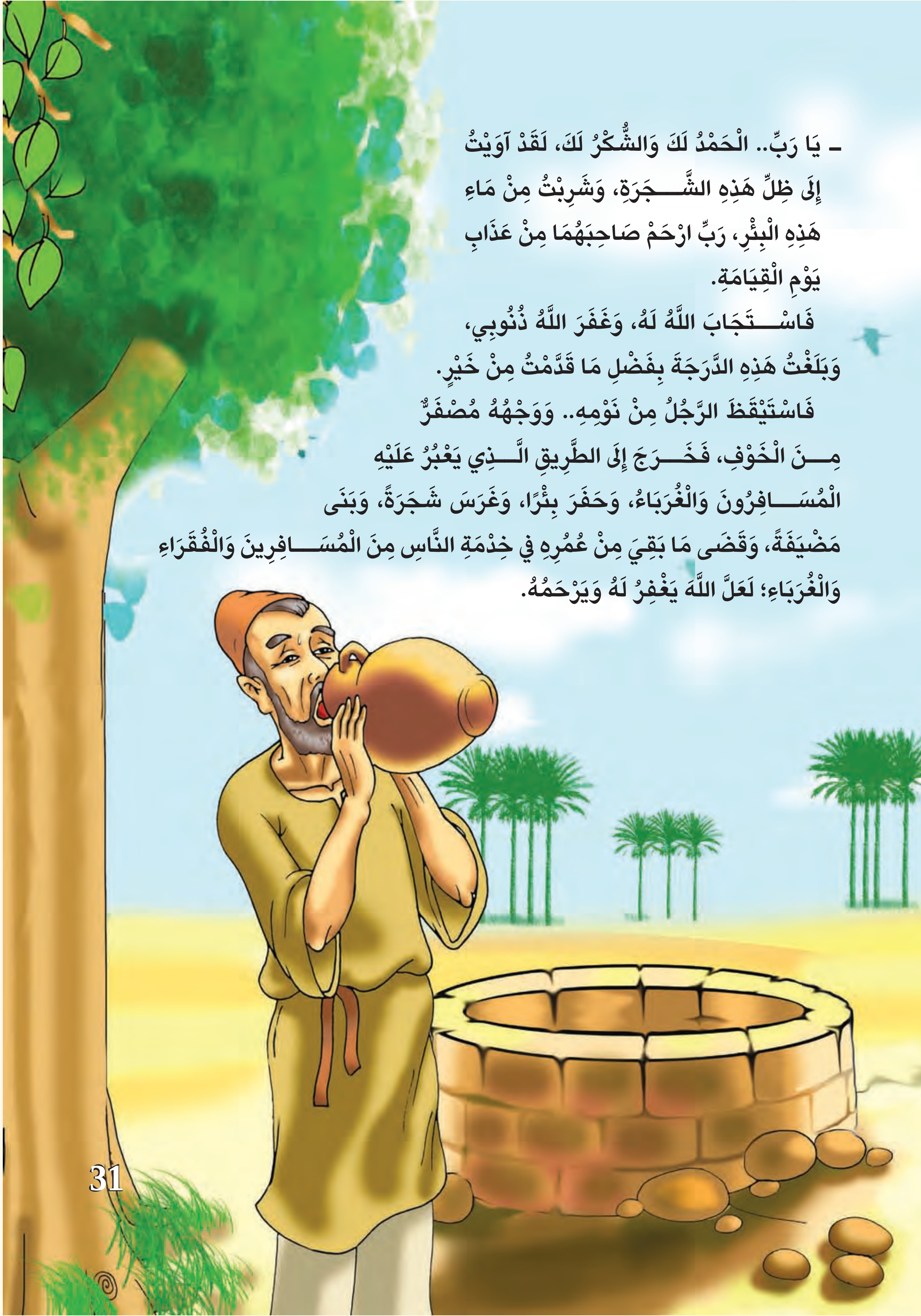
فَسَارَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَسَأَلَهُ:

- أَيَّ عَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتَهُ فِي دُنْيَاكَ، جَعَلَكَ فِي هَذَا الْمَقَامِ الرَّفِيعِ؟

فَقَالَ:

- لَقَدْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا فَقِيرًا، لَكِنَّنِي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَحْفِرَ عَلَى حَافَةِ الطَّرِيقِ بِئْرًا، وَغَرَسْتُ بِجِوَارِهَا شَجَرَةً؛ كَيْ يَشْرَبَ الْمُسَافِرُونَ وَالْغُرَبَاءُ مِنْ مَاءِ الْبِئْرِ، وَيَسْتَرِيحُوا فِي ظِلَالِ الشَّجَرَةِ.

وَحَدَثَ أَنْ مَرَّ بِهِمَا رَجُلٌ فَقِيرٌ حَافِيَ الْقَدَمَيْنِ، عَارِيَ الرَّأْسِ، رَثَّ الْمَلْبَسِ، فَشَرِبَ مِنَ الْبِئْرِ، وَاسْتَرَاحَ فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ قَالَ:



ـ يَا رَبِّ.. الْحَمْدُ لَكَ وَالشُّكْرُ لَكَ، لَقَدْ آوَيْتُ إِلَى ظِلِّ هَذِهِ الشَّــجَرَةِ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ هَذِهِ الْبِئْرِ، رَبِّ ارْحَمْ صَاحِبَهُمَا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَاسْــتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَغَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبِي، وَبَلَغْتُ هَذِهِ الدَّرَجَةَ بِفَضْلِ مَا قَدَّمْتُ مِنْ خَيْرٍ.

فَاسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنْ نَوْمِهِ.. وَوَجْهُهُ مُصْفَرٌّ مِــنَ الْخَوْفِ، فَخَــرَجَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّــذِي يَعْبُرُ عَلَيْهِ الْمُسَــافِرُونَ وَالْغُرَبَاءُ، وَحَفَرَ بِئْرًا، وَغَرَسَ شَجَرَةً، وَبَنَى مَضْيَفَةً، وَقَضَى مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ فِي خِدْمَةِ النَّاسِ مِنَ الْمُسَــافِرِينَ وَالْفُقَرَاءِ وَالْغُرَبَاءِ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ وَيَرْحَمُهُ.

الْأَمِيرُ الْقَصِيرُ

يُحْكَى قَدِيمًا أَنَّ مَلِكًا كَانَ لَدَيْهِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَكَانُوا جَمِيعًا يَتَمَيَّزُونَ بِطُولِ الْقَامَةِ إِلَّا وَاحِدًا كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ.

وَكَانَ الْأَمِيرُ قَصِيرُ الْقَامَةِ مَوْضِعَ سُخْرِيَةٍ مِنْ إِخْوَتِهِ وَمِنْ أَبِيهِ الْمَلِكِ!

أَدْرَكَ الْأَمِيرُ الْقَصِيرُ أَنَّ أَبَاهُ لَا يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ إِخْوَتَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَقَالَ:

- يَا أَبَتِ إِنَّ قَصِيرًا عَاقِلًا خَيْرٌ مِنْ طَوِيلٍ جَاهِلٍ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ طَالَتْ قَامَتُهُ عَظُمَتْ قِيمَتُهُ!

قَالَ الْمَلِكُ سَاخِرًا:

- وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

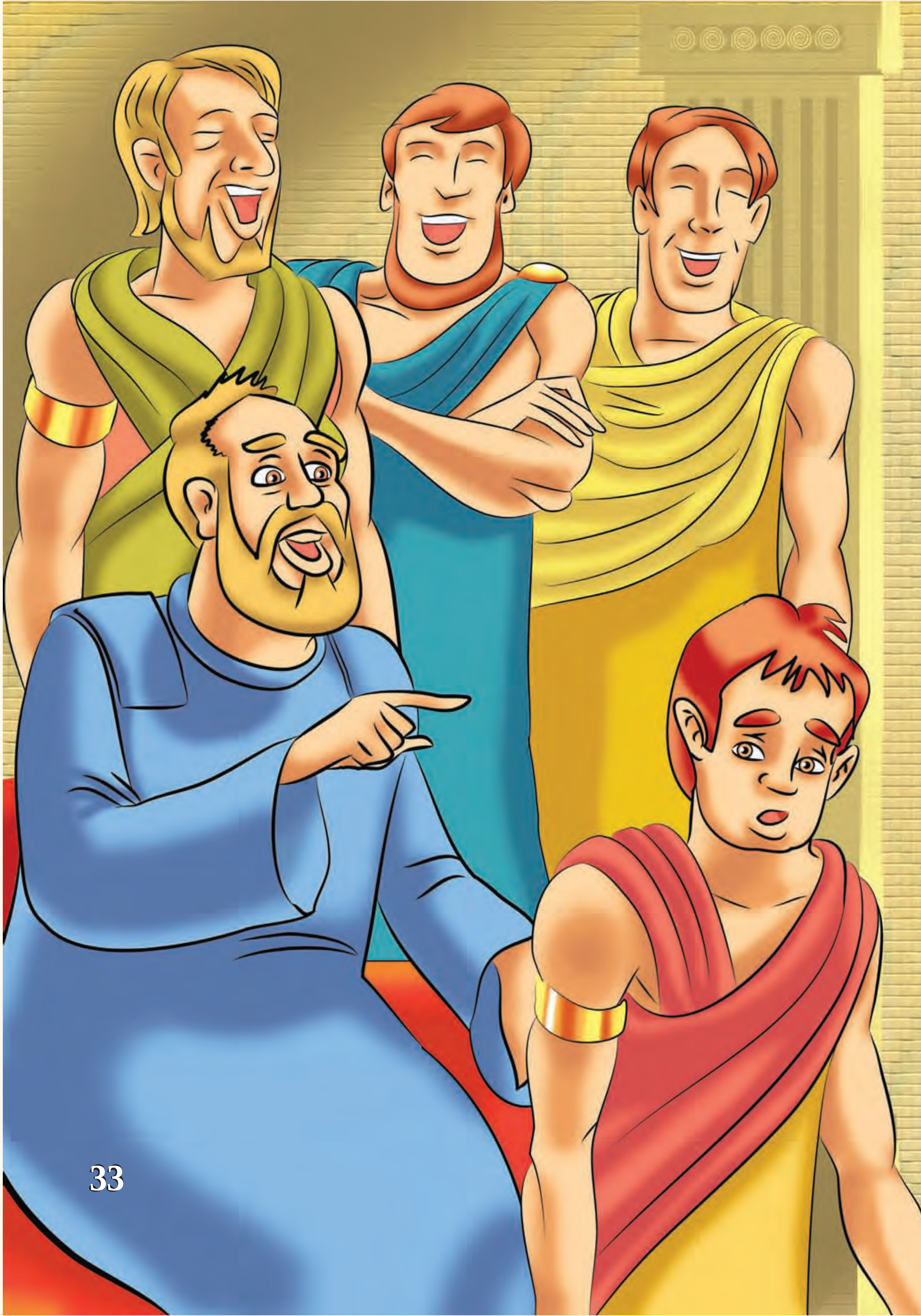
قَالَ الْأَمِيرُ الْقَصِيرُ:

- أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُورَ سَيْنَاءَ أَقَلُّ جِبَالِ الْأَرْضِ ارْتِفَاعًا، لَكِنَّهُ أَعْظَمُهَا قَدْرًا وَمَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ؟! ثُمَّ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْحِصَانَ الْعَرَبِيَّ بِرَغْمِ نَحَافَتِهِ خَيْرٌ مِنَ الْحِمَارِ السَّمِينِ؟!

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ ضَحِكَ وَسَخِرَ، لَكِنَّ إِخْوَتَهُ ازْدَادُوا غَضَبًا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يُشَبِّهُهُمْ بِالْحَمِيرِ!!

وَفَشِلَتْ مُحَاوَلَاتُ الْأَمِيرِ الْقَصِيرِ فِي كَسْبِ وُدِّ أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ، فَانْصَرَفَ إِلَى الْعِلْمِ، وَتَعَلَّمَ الْفُرُوسِيَّةَ وَوَسَائِلَ الْقِتَالِ، وَشَغَلَ وَقْتَهُ بِالصَّيْدِ وَبِالْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ.

وَفِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ هَاجَمَ مَمْلَكَةَ أَبِيهِ جَيْشٌ مِنَ الْأَعْدَاءِ، فَلَمَّا الْتَقَى الْجَيْشَانِ، كَانَ الْأَمِيرُ الْقَصِيرُ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ وَهَاجَمَ الْأَعْدَاءَ.



ظَلَّ الْأَمِيرُ يَدْهَمُ الْأَعْدَاءَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الْفُرْسَـــانِ دُونَ أَنْ يَخَافَ أَوْ يَتَرَدَّدَ، وَلَمَّا أَشَـــارَ بَعْضُ فُرْسَانِهِ بِالتَّرَاجُعِ وَالْهَرَبِ، صَرَخَ فِيهِمْ أَنِ اثْبُتُوا، وَقَاتِلُوا حَتَّى لَا يَلْحَقَنَا الْخِزْيُ وَالْعَارُ.

وَظَلَّ الْقِتَالُ دَائِرًا حَتَّى ظَفِرَ الْأَمِيرُ بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَاءِ أَبِيهِ فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ.

وَاسْتَقْبَلَهُ أَبُوهُ الْمَلِكُ اسْتِقْبَالَ الْفَارِسِ الْمُنْتَصِرِ، وَتَبَدَّلَتْ سُخْرِيَتُهُ مِنْهُ إِلَى تَقْدِيرٍ وَإِعْجَابٍ.

وَأَخَذَ الْأَمِيرُ الْقَصِيرُ تَعْلُو مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ أَبِيهِ حَتَّى أَعْلَنَهُ وَلِيًّا لِلْعَهْدِ عَلَى عَرْشِ الْمَمْلَكَةِ.

وَهُنَا نَقَمَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ، وَأَخَذُوا يُدَبِّرُونَ مُؤَامَرَةً لِلتَّخَلُّصِ مِنْهُ عَنْ طَرِيقِ دَسِّ السُّمِّ فِي طَعَامِهِ!

وَأَقْبَـــلَ الْأَمِيرُ عَلَى الطَّعَـــامِ، وَلَكِنَّ أُخْـــتَهُ الَّتِي تُحِبُّهُ كَانَتْ تَقِفُ بِالْقُـــرْبِ مِنْهُ وَتَعْلَمُ مَا دَبَّرَهُ إِخْوَتُهَا، فَخَشِـــيَتْ أَنْ يَأْكُلَ أَخُوهَا مِنَ الطَّعَامِ الْمَسْمُومِ، فَأَغْلَقَتِ النَّافِذَةَ بِشِدَّةٍ لِتُنَبِّهَهُ.

وَهُنَا تَنَبَّهَ الْأَمِيرُ إِلَى الْأَمْرِ، وَامْتَنَعَ عَنِ الْأَكْلِ!!

وَعَلِـــمَ أَبُوهُ الْمَلِكُ بِمَا كَانَ مِنْ إِخْوَتِهِ وَتَآمُرِهِـــمْ عَلَيْهِ، فَدَعَاهُمْ جَمِيعًا إِلَى مَجْلِسِهِ، وَأَخَذَ يُوَبِّخُهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ.

وَلَمْ يَجِدِ الْمَلِكُ مَفَرًّا مِنْ تَقْسِيمِ الْمَمْلَكَةِ عَلَى أَوْلَادِهِ؛ حَتَّى لَا يُعِيدُوا مَا فَعَلُوهُ مَعَ أَخِيهِمْ، فَأَسْرَعَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى إِمَارَتِهِ لِيَحْكُمَهَا، حَتَّى هَدَأَ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ نِزَاعٍ.

وَمَاتَ الْمَلِكُ، وَأَصْبَحَ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ مَلِكًا مَكَانَ أَبِيهِ الرَّاحِلِ، لَكِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَعَامَلَهُمْ مُعَامَلَةً حَسَنَةً!



لَعْنَةُ الثَّرَاءِ

فِي إِحْدَى الْقُرَى الْفَارِسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ عَاشَ دَرْوِيشٌ فَقِيرٌ عَلَى الْكَفَافِ حَتَّى ضَاقَتِ الدُّنْيَا فِي وَجْهِهِ، وَلَمْ يَعُدْ يَجِدُ مَا يَسُدُّ بِهِ رَمَقَهُ!!

لَجَأَ الدَّرْوِيشُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَثْرِيَاءِ الْبَلْدَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ، وَالْتَمَسَ مِنْهُ الْعَوْنَ. لَكِنَّ الثَّرِيَّ لَمْ يُعْطِهِ أَيَّ شَيْءٍ مِمَّا أَنْعَمَ بِهِ اللَّهُ عَلَيْهِ! بَلْ تَرَكَهُ يَتَلَوَّى جُوعًا وَأَلَمًا، وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ بَلْ طَرَدَهُ وَنَهَرَهُ وَصَرَخَ فِي وَجْهِهِ!!

فَانْصَرَفَ الدَّرْوِيشُ حَزِينًا، وَتَعَجَّبَ مِنْ هَذَا الثَّرِيِّ الْبَخِيلِ الَّذِي يَضِنُّ عَلَى الْفَقِيرِ بِمَالِهِ كَأَنَّهُ لَا يَخْشَى تَقَلُّبَ الزَّمَانِ!!

وَتَمْضِي عَجَلَةُ الزَّمَانِ تَرْفَعُ هَذَا وَتَخْفِضُ ذَاكَ.

وَهَا هُوَ الثَّرِيُّ الْبَخِيلُ يَفْقِدُ ثَرْوَتَهُ فِي مُقَامَرَةٍ مَعَ أَصْدِقَاءِ السُّوءِ، وَأَصْبَحَ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَأَخَذَ يَسْتَجْدِي عَطْفَ النَّاسِ لِيَأْكُلَ، بَعْدَ أَنِ اضْطُرَّ إِلَى بَيْعِ بَيْتِهِ وَأَثَاثِهِ!! حَتَّى إِنَّهُ قَدْ بَاعَ الْخَادِمَ الَّذِي كَانَ يَخْدُمُهُ، وَقَدِ اشْتَرَاهُ أَحَدُ الْأَغْنِيَاءِ، وَكَانَ مِمَّنْ يَعْطِفُونَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ بِالْمَالِ وَالطَّعَامِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ.. وَقَفَ عَلَى بَابِ هَذَا الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ فَقِيرٌ يَلْتَمِسُ الْعَطْفَ، وَقَدْ بَدَا عَلَى مَظْهَرِهِ ذِلَّةُ الْفَقْرِ وَعَضَّةُ الْجُوعِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى الْوُقُوفِ مُسْتَنِدًا عَلَى قَدَمَيْهِ.

رَفَعَ الْفَقِيرُ صَوْتَهُ طَالِبًا الطَّعَامَ، فَخَرَجَ لَهُ الْخَادِمُ يَحْمِلُ لَهُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَكَدْ يَقَعُ نَظَرُهُ عَلَيْهِ حَتَّى صَاحَ مُتَعَجِّبًا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَأَسْرَعَ إِلَى سَيِّدِهِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ الدَّمْعَ!! فَسَأَلَهُ سَيِّدُهُ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ فَقَالَ:

- يَا سَيِّدِي إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَقِفُ عَلَى بَابِنَا يَمُدُّ يَدَهُ طَالِبًا الْإِحْسَانَ هُوَ سَيِّدِي الَّذِي كَانَ يَمْلِكُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا لَا عَدَدَ لَهُ، وَكَانَ مُسْرِفًا فِي إِنْفَاقِ مَالِهِ عَلَى نَفْسِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْطِفُ عَلَى مِسْكِينٍ وَلَا يُطْعِمُ فَقِيرًا، وَهَا هُوَ قَدْ ذَاقَ مَرَارَةَ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ، فَجَاءَ يَنْشُدُ عِنْدَكَ الْإِحْسَانَ وَالطَّعَامَ.

وَهُنَا قَالَ الرَّجُلُ لِخَادِمِهِ:

ـ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ التَّاجِرَ الْمُتَكَبِّرَ الَّذِي صَعَّرَ خَدَّهُ وَرَفَعَ بِالْغُرُورِ رَأْسَهُ كَأَنَّهُ يَبْلُغُ عَنَانَ السَّمَاءِ؟!

أَمَّا أَنَا يَا وَلَدِي، فَإِنَّنِي الْفَقِيرُ الدَّرْوِيشُ الَّذِي طَرَدَهُ مِنْ بَابِهِ يَوْمًا، وَاسْتَعَانَ بِكَ يَوْمَهَا فِي إِبْعَادِي!! لَكِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَأَزَالَ عَنِّي الْفَقْرَ.

اذْهَبْ إِلَى الرَّجُلِ وَجُدْ عَلَيْهِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا؛ فَلَنْ نُعَامِلَهُ بِمَا عَامَلَنَا بِهِ مِنْ قَبْلُ!!



حِينَمَا يَتَكَلَّمُ الصَّدَى

يُحْكَى فِي الْقَصَصِ الشَّـــعْبِيِّ الْهِنْدِيِّ، أَنَّ الْأَخَوَيْنِ «كَانْدَان»، «وَآنْدِي» كَانَا يَمْلِكَانِ مَزْرَعَةً كَبِيرَةً عَامِرَةً بِالْأَبْقَارِ وَالْأَغْنَامِ وَالدَّجَاجِ وَالْبَطِّ..

وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَزْرَعَةُ بَعِيدَةً عَنِ الْمَدِينَةِ فِي وَادٍ مُتَّسِعٍ حَوْلَهُ جِبَالٌ عَالِيَةٌ، وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ دُعِيَ الْأَخَوَانِ إِلَى حَفْلِ عُرْسٍ فِي الْمَدِينَةِ.

فَقَالَ «كَانْدَان» لِأَخِيهِ «آنْدِي»:

- لَعَلَّهَا فُرْصَةٌ نَذْهَبُ فِيهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَنَلْتَقِي بِأَعْمَامِنَا وَأَخْوَالِنَا.

ضَحِكَ «آنْدِي» وَقَالَ لِأَخِيهِ:

- وَنَتْرُكُ الْمَزْرَعَةَ يَـــا أَخِي!! أَلَا تَرَى أَنَّ ذَلِكَ مُسْــــتَحِيلٌ؟! فَمَنْ يَرْعَى الْأَبْقَارَ وَالْأَغْنَامَ؟ وَمَنْ يُطْعِمُ الدَّجَاجَ وَالْبَطَّ؟ وَمَنْ يَحْرُسُ الْمَزْرَعَةَ مِنَ اللُّصُوصِ؟

قَالَ «كَانْدَان»:

- وَمَا الْعَمَلُ يَا أَخِي؟

قَالَ «آنْدِي»:

- فَلْيَذْهَبْ أَحَدُنَا وَيَبْقَ الْآخَرُ لِرِعَايَةِ الْمَزْرَعَةِ!

وَهُنَا بَدَأَ الْأَخَوَانِ يَتَنَاقَشَانِ وَيَخْتَلِفَانِ.

تُرَى مَنْ مِنْهُمَا يَذْهَبُ إِلَى الْعُرْسِ وَمَنْ يَبْقَى فِي الْمَزْرَعَةِ؟

قَالَ «كَانْدَان»:

- إِنَّنِي لَمْ أُغَادِرِ الْمَزْرَعَةَ مُنْذُ عَامٍ كَامِلٍ؛ لِذَلِكَ فَمِنْ حَقِّي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَحْدِي؛ لِأَنَّكَ ذَهَبْتَ إِلَيْهَا مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ.

صَاحَ «آنْدِي» ثَائِرًا:

- وَهَلْ ذَهَبْتُ لِكَيْ أَتَسَلَّى أَمْ لِأَشْتَرِيَ مُعَدَّاتٍ وَلَوَازِمَ لِلْمَزْرَعَةِ؟! لَقَدْ كَانَتْ رِحْلَةً شَـــاقَّةً نَقَلْتُ فِيهَا هَذِهِ الْمُعَدَّاتِ إِلَى الْمَزْرَعَةِ وَتَعِبْتُ فِي حَمْلِهَا وَنَقْلِهَا؛ لِهَذَا فَأَنَا مِثْلُكَ تَمَامًا كَأَنِّي لَمْ أَزُرِ الْمَدِينَةَ مُنْذُ عَامٍ كَامِلٍ.



وَهُنَا لَمَعَتْ فِي ذِهْنِ «كَانْدَان» فِكْرَةٌ، فَقَالَ لِأَخِيهِ «آنْدِي»:

ـ مَا رَأْيُكَ لَوْ نَحْتَكِمُ لِهَذِهِ الْجِبَالِ مِنْ حَوْلِنَا؟

قَالَ «آنْدِي»:

ـ كَيْفَ؟!!

قَالَ «كَانْدَان»:

ـ سَأَصِيحُ وَأَطْلُبُ مِنَ الْجِبَالِ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَنَا.

ثُمَّ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ قَائِلًا:

ـ أَيَّتُهَا الْجِبَالُ الْعَالِيَةُ، أَيَذْهَبُ أَخِي «آنْدِي» إِلَى الْحَفْلِ أَمْ يَبْقَى فِي الْمَزْرَعَةِ؟

وَهُنَا سَمِعَ الْأَخَوَانِ صَدَى الصَّوْتِ يَأْتِي مِنْ نَاحِيَةِ الْجِبَالِ:

ـ يَبْقَى فِي الْمَزْرَعَةِ.. يَبْقَى فِي الْمَزْرَعَةِ!

وَبِالطَّبْعِ سَعِدَ «كَانْدَان» الْمَاكِرُ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ وَقَالَ:

ـ أَسَمِعْتَ يَا أَخِي؟ إِنَّ الْجِبَالَ تَقُولُ بِأَنْ تَبْقَى أَنْتَ فِي الْمَزْرَعَةِ.

لَكِنَّ آخَاهُ «آنْدِي» شَكَّ فِي الْأَمْرِ وَقَالَ:

ـ دَعْنِي أَنَا أَيْضًا أُجَرِّبْ سُؤَالَ الْجِبَالِ، فَإِذَا حَكَمَتْ بِأَنْ أَبْقَى فِي الْمَزْرَعَةِ، فَسَأُطِيعُ أَمْرَهَا.

وَافَقَ «كَانْدَان» عَلَى مَضَضٍ، وَأَخَذَ «آنْدِي» نَفَسًا عَمِيقًا ثُمَّ صَاحَ:

ـ أَيَّتُهَا الْجِبَالُ الْعَالِيَةُ، أَيَبْقَى أَخِي «كَانْدَان» فِي الْمَزْرَعَةِ أَمْ يَذْهَبُ إِلَى الْحَفْلِ؟

وَجَاءَ صَدَى الصَّوْتِ عَالِيًا بِآخِرِ الْكَلِمَاتِ كَالْعَادَةِ:

ـ يَذْهَبُ إِلَى الْحَفْلِ!! يَذْهَبُ إِلَى الْحَفْلِ!!

وَهُنَا قَالَ «كَانْدَان»:

ـ أَسَمِعْتَ يَا أَخِي، لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ تَحْكُمُ الْجِبَالُ بِأَنْ تَبْقَى أَنْتَ فِي الْمَزْرَعَةِ وَأَذْهَبَ أَنَا إِلَى الْحَفْلِ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُطِيعَ مَا حَكَمَتْ بِهِ الْجِبَالُ!

لَمْ يَمْلِكْ «آنْدِي» سِوَى الْمُوَافَقَةِ، وَذَهَبَ أَخُوهُ «كَانْدَان» إِلَى الْحَفْلِ، وَبَقِيَ هُوَ فِي الْمَزْرَعَةِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي السِّرَّ وَرَاءَ حُكْمِ الْجِبَالِ مَرَّتَيْنِ لِأَخِيهِ «كَانْدَان»!!



حُلْمُ الطَّيَرَانِ

أَقْدَمُ أَحْلَامِ الْإِنْسَانِ هُوَ حُلْمُ الطَّيَرَانِ؛ فَهُوَ يُرَاقِبُ الطُّيُورَ وَهِيَ تُحَلِّقُ فِي الْفَضَاءِ، وَتُرَفْرِفُ بِأَجْنِحَتِهَا فِي سَعَادَةٍ وَأَمَانٍ.

فِي أَثِينَا الْقَدِيمَةِ طَلَبَ الْمَلِكُ «مِينُــوس» مِنْ «دِيدَالُوس» ـ أَمْهَرِ الصُّنَّاعِ فِي زَمَنِهِ ـ أَنْ يُقِيمَ لَهُ قَصْرًا فَاخِرًا أَعْظَمَ مِــنْ أَيِّ قَصْرٍ آخَرَ، فَفَكَّرَ «دِيدَالُوس» كَثِيرًا، حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يُخَطِّطَ لِبِنَاءِ هَذَا الْقَصْرِ بِمَهَارَةٍ نَادِرَةٍ.

أُعْجِبَ الْمَلِكُ بِهَنْدَسَــةِ الْقَصْرِ وَشُرُفَاتِهِ وَسَــرَادِيبِهِ وَحَدَائِقِهِ، وَمَنَارَاتِهِ، وَاسْــتَدْعَى «دِيدَالُوس»، وَكَانَتْ مُكَافَأَتُهُ لَهُ أَنْ حَبَسَــهُ فِي جَزِيرَةٍ مُنْعَزِلَةٍ هُوَ وَوَلَدُهُ «إِيكَارُوس»!! وَوَضَعَ عَلَيْهِمَا الْحُرَّاسَ الْأَقْوِيَاءَ؛ فَقَدْ خَشِــيَ الْمَلِكُ مِنَ احْتِمَالِ بِنَاءِ «دِيدَالُوس» قَصْرًا آخَرَ أَكْثَرَ فَخَامَةً وَتَعْقِيدًا لِمَلِكٍ آخَرَ.

حَاوَلَ «دِيدَالُوس» وَوَلَدُهُ الْفِرَارَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ الْمُنْعَزِلِ، لَكِنَّهُمَا أَخْفَقَا فِي كُلِّ الْمُحَاوَلَاتِ!!

أَخَذَ «دِيدَالُوس» يُفَكِّرُ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ سِوَى أَنْ يَعُودَ إِلَى حُلْمِهِ الْقَدِيمِ، حُلْمِ الطَّيَرَانِ، فَدَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَلَدِهِ «إِيكَارُوس» هَذَا الْحِوَارُ:

ـ سَنَمُوتُ هُنَا يَا «إِيكَارُوس» إِذَا لَمْ نَبْحَثْ عَنْ وَسِيلَةٍ تُنْقِذُنَا.

ـ الْحِصَارُ حَوْلَنَا شَدِيدٌ، وَلَا يَجْرُؤُ قَارِبٌ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنَ الْمَكَانِ، فَمَاذَا نَفْعَلُ؟

ـ لَابُدَّ أَنْ نَطِيرَ مِثْلَ هَذِهِ الطُّيُورِ!

ـ كَيْفَ يَا وَالِدِي؟! مَاذَا تَقْصِدُ؟!

ـ عَلَيْنَا أَنْ نَصْنَعَ أَجْنِحَةً مِثْلَ أَجْنِحَةِ الطُّيُورِ؛ سَنَجْمَعُ الرِّيشَ الْمُتَسَاقِطَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ حَوْلِنَا، أَيَّ رِيشٍ مَهْمَا كَانَ، صَغُرَ أَوْ كَبُرَ، وَدَعِ الْأَمْرَ لِي.

مَضَى زَمَنٌ طَوِيلٌ وَهُمَا يَجْمَعَانِ الرِّيشَ عَلَى طُولِ السَّــاحِلِ، وَيَصْطَادَانِ الطُّيُورَ الْكَبِيرَةَ مِثْلَ النَّوَارِسِ وَالْغِرْبَانِ وَالصُّقُورِ لِلْحُصُولِ عَلَى رِيشِهَا.



كَانَ «دِيدَالُوس» يَدْرُسُ حَـــرَكَاتِ الطُّيُورِ، وَكَيْفَ تَرْتَفِعُ عَنِ الْأَرْضِ، وَكَيْفَ تَسْتَمِرُّ فِي الطَّيَرَانِ، وَكَيْفَ تَهْبِطُ، وَأَيْنَ يُوجَدُ الرِّيشُ الْخَفِيفُ وَالرِّيشُ الطَّوِيلُ فِي جِسْمِ الطَّائِرِ.

وَحِينَمَا اجْتَمَعَ لَهُمَا كَوْمٌ كَبِيرٌ مِنَ الرِّيشِ، بَدَأَ «دِيدَالُوس» بِمُسَـــاعَدَةِ وَلَدِهِ يَصْنَعُ جَنَاحًا مِنْ أَعْوَادٍ خَشَــبِيَّةٍ سَهْلَةِ الِالْتِوَاءِ، ثُمَّ صَنَعَ هَيْكَلًا قَوِيًّا ثَبَّتَ فِيهِ الرِّيشَ بِنَسَقٍ مُعَيَّنٍ بِوَاسِطَةِ الْخَيْطِ وَالشَّمْعِ.

انْتَهَى «دِيدَالُوس» مِنْ صُنْعِ زَوْجٍ مِنَ الْأَجْنِحَةِ، ثُمَّ شَــدَّهُمَا إِلَى كَتِفَيْهِ، وَمَدَّ ذِرَاعَيْهِ أُفُقِيًّا، وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ مِنْ فَوْقِ الرَّبْوَةِ لَعَلَّهُ يَطِيرُ مِثْلَ الطُّيُورِ.

لَكِنَّ الْمُحَاوَلَةَ الْأُولَى كَانَتْ فَاشِــلَةً؛ فَقَدِ انْحَدَرَ إِلَى أَسْفَلَ وَفَقَدَ تَوَازُنَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ رَفْرَفَ قَلِيلًا فِي الْفَضَاءِ قَبْلَ أَنْ يَسْقُطَ!!

لَمْ يَيْأَسْ «دِيدَالُوس».. فَقَدْ تَـــرَكَ الْأَرْضَ لِبِضْعِ ثَوَانٍ قَلِيلَةٍ، وَطَارَ بِالْفِعْلِ، فَلِمَاذَا لَا يُحَاوِلُ مَرَّةً أُخْرَى؟

وَبَعْدَ أَكْثَرَ مِنْ مُحَاوَلَةٍ تَمَكَّنَ «دِيدَالُوس» مِنْ أَنْ يُحَلِّقَ وَيَتَوَازَنَ وَيَسْـــتَقِرَّ عَلَى الْأَرْضِ بِنَجَاحٍ كَبِيرٍ!!

عِنْدَئِذٍ صَنَعَ «دِيدَالُوس» لِوَلَدِهِ «إِيكَارُوس» زَوْجًا مِنَ الْأَجْنِحَةِ يَتَنَاسَبُ مَعَ جِسْمِهِ الصَّغِيرِ، وَأَخَذَ يُدَرِّبُهُ عَلَى الطَّيَرَانِ حَتَّى اطْمَأَنَّ إِلَى قُدْرَتِهِ عَلَى التَّوَازُنِ.

وَجَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي حَدَّدَهُ «دِيدَالُوس» لِلْهُرُوبِ وَالْمُخَاطَرَةِ، فَقَالَ لِوَلَدِهِ:

- عَلَيْكَ يَا وَلَدِي أَنْ تُحَافِظَ عَلَى الِارْتِفَاعِ الْمُنَاسِبِ، وَأَلَّا تُحَلِّقَ بِالْقُرْبِ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؛ لِأَنَّ الْبُخَارَ الَّذِي يَصْعَدُ مِنَ الْمَاءِ سَيَجْعَلُ أَجْنِحَتَكَ ثَقِيلَةً فَتَسْقُطَ، وَأَلَّا تُحَلِّقَ عَالِيًا جِدًّا؛ لِأَنَّ حَرَارَةَ الشَّمْسِ سَتُذِيبُ الشَّمْعَ الَّذِي يَلْتَصِقُ بِهِ الرِّيشُ.

وَعَدَ «إِيـــكَارُوس» أَبَاهُ بِأَنْ يَكُونَ حَذِرًا، وَانْطَلَقَ «دِيدَالُوس» وَوَلَدُهُ يُحَلِّقَانِ بِسُهُولَةٍ مُتَّجِهَيْنِ إِلَى أَقْرَبِ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ.



انْدَهَشَ النَّاسُ مِنْ هَذَا الْمَنْظَرِ الْعَجِيبِ، فَتَرَكُوا أَعْمَالَهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ وَأَخَذُوا يُحَدِّقُونَ فِي هَذَيْنِ الطَّائِرَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ.

كَانَ «دِيدَالُوس» حَرِيصًا فِي طَيَرَانِهِ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَى وَلَدِهِ كُلَّمَا فَكَّرَ أَنْ يَهْبِطَ أَوْ يَرْتَفِعَ؛ لِكَيْ يَعُودَ إِلَى مَسَارِهِ الصَّحِيحِ.

لَكِنَّ «إِيكَارُوس» وَجَدَ نَفْسَهُ فِي فَضَاءٍ مُتَّسِعٍ بِلَا حُدُودٍ، وَأَحَسَّ بِقُدْرَتِهِ عَلَى اخْتِرَاقِ الْفَضَاءِ، فَأَخَذَ يَضْرِبُ بِجَنَاحَيْهِ بِسُرْعَةٍ أَكْبَرَ، وَيَرْتَفِعُ بِجِسْمِهِ خِلَالَ الْغُيُومِ وَالسَّحَابِ بِلَا خَوْفٍ.

وَهُنَا صَرَخَ «دِيدَالُوس»:

ـ اهْبِطْ يَا وَلَدِي! حَاذِرِ الشَّمْسَ، سَتُذِيبُ الشَّمْعَ!!

لَكِنَّ «إِيكَارُوس» الطَّائِشَ لَمْ يَسْمَعْ إِلَى أَبِيهِ، وَأَحَسَّ أَنَّهُ يَمْلِكُ هَذَا الْفَضَاءَ وَيُحَلِّقُ فِيهِ بِحُرِّيَّةٍ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَسْفَلَ مِنْ عَلْيَائِهِ، فَرَأَى السُّفُنَ فِي الْبَحْرِ كَأَنَّهَا لُعَبٌ صَغِيرَةٌ مُبَعْثَرَةٌ عَلَى قُمَاشَةٍ زَرْقَاءَ.

بَدَأَتْ حَرَارَةُ الشَّمْسِ تُذِيبُ الشَّمْعَ، وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ حَتَّى تَسَاقَطَ الرِّيشُ مِنَ الْجَنَاحَيْنِ، وَبَدَأَ «إِيكَارُوس» يَصْرُخُ وَهُوَ يَسْقُطُ!

حَاوَلَ «دِيدَالُوس» الْتِقَاطَهُ فِي أَثْنَاءِ سُقُوطِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَقَدْ هَوَى «إِيكَارُوس» فِي الْبَحْرِ وَغَرِقَ، تَارِكًا وَرَاءَهُ بَعْضَ الرِّيشِ يَطْفُو فَوْقَ الْأَمْوَاجِ.

لَقَدْ كَانَتْ أُولَى مُحَاوَلَاتِ الْإِنْسَانِ لِكَيْ يَطِيرَ، حَقَّقَ فِيهَا «دِيدَالُوس» بَعْضَ الْحُلْمِ، وَأَكْمَلَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ فِيمَا بَعْدُ.

إِنَّنَا الْيَوْمَ نَرَى الطَّائِرَاتِ الْعِمْلَاقَةَ، وَمَرَاكِبَ الْفَضَاءِ الَّتِي تَصِلُ إِلَى الْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ.

كُلُّ هَذَا كَانَ حُلْمًا فِي رَأْسِ «دِيدَالُوس» أَوَّلِ رَجُلٍ يَطِيرُ!



الحُوتُ وَالفَتَى الشُّجَاعُ

يُحْكَى عَنْ قَرْيَةٍ تَقَعُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ.. يَعْمَلُ أَهْلُهَا جَمِيعًا بِصَيْدِ السَّمَكِ. كَانَ الصَّيَّادُونَ يَخْرُجُونَ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ يُلْقُونَ شِبَاكَهُمْ فِي مَاءِ الْبَحْرِ، وَيَعُودُونَ فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ إِلَى سُوقِ السَّمَكِ حَيْثُ يَبِيعُونَ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنَ الصَّيْدِ، وَيَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى هَذَا الرِّزْقِ الْوَفِيرِ.

وَكَانَ بَيْنَ الصَّيَّادِينَ رَجُلٌ عَجُوزٌ لَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ «فَارِسٌ» يُعَلِّمُهُ الصَّيْدَ وَيَخْرُجُ مَعَهُ كُلَّ صَبَاحٍ، وَيُسَاعِدُهُ فِي عَمَلِهِ.

كَانَ الصَّيَّادُونَ يُحِبُّونَ الْفَتَى «فَارِسًا»؛ فَهُوَ ذَكِيٌّ.. يَتَعَلَّمُ الْمِهْنَةَ بِسُرْعَةٍ، وَيُسَاعِدُ مَنْ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمُسَاعَدَةَ.

وَجَاءَ يَوْمٌ مَرِضَ فِيهِ أَبُو «فَارِسٍ» وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْخُرُوجَ إِلَى الْبَحْرِ، وَاسْتَأْذَنَ «فَارِسٌ» أَبَاهُ فِي الْخُرُوجِ بَدَلًا مِنْهُ، لَكِنَّ الْأَبَ خَافَ عَلَى وَلَدِهِ، وَقَالَ لَهُ:

- مَا زِلْتَ صَغِيرًا يَا وَلَدِي عَلَى خُرُوجِكَ وَحْدَكَ لِلصَّيْدِ!

قَالَ «فَارِسٌ»:

- جَرِّبْنِي يَا أَبَتِ، وَسَوْفَ أَصِيدُ بِفَضْلِ اللَّهِ، وَأَجِيءُ لَكَ بَعْدَ أَنْ أَبِيعَ الصَّيْدَ.

أَخَذَ «فَارِسٌ» يَرْجُو أَبَاهُ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ حَتَّى وَافَقَ.

وَخَرَجَ «فَارِسٌ» يَحْمِلُ شَبَكَتَهُ.

وَحِينَمَا وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ سَأَلَهُ الصَّيَّادُونَ عَنْ أَبِيهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُ مَرِيضٌ يُلَازِمُ الْفِرَاشَ فِي الْبَيْتِ.

أَخَذَ الصَّيَّادُونَ يُسَاعِدُونَ صَدِيقَنَا «فَارِسًا» حَتَّى عَادَ بِصَيْدٍ وَفِيرٍ، وَذَهَبَ مَعَهُمْ إِلَى السُّوقِ وَبَاعَ مَا مَعَهُ مِنْ سَمَكٍ، وَأَسْرَعَ إِلَى الْبَيْتِ يُبَشِّرُ أَبَاهُ بِمَا صَنَعَ.

سَعِدَ أَبُوهُ بِهِ، وَتَمَنَّى لَهُ مَزِيدًا مِنَ التَّوْفِيقِ.

وَفِي الْمَسَاءِ جَاءَ الصَّيَّادُونَ إِلَى أَبِيهِ يَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيَطْمَئِنُّونَ عَلَيْهِ، فَأَوْصَاهُمْ بِوَلَدِهِ «فَارِسٍ».



وَظَلَّ «فَارِسٌ» يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ يَصْطَادُ السَّمَكَ وَيَبِيعُهُ وَيَشْتَرِي الدَّوَاءَ لِأَبِيهِ، وَيُعْطِيهِ مَا بَقِيَ مِنَ النُّقُودِ.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ظَهَرَ فِي الْبَحْرِ حُوتٌ كَبِيرٌ!! وَحِينَمَا رَآهُ الصَّيَّادُونَ تَرَاجَعُوا خَائِفِينَ.

وَظَلَّ الْحُوتُ يَظْهَرُ طَوَالَ الْيَوْمِ، فَلَمْ يَحْصُلِ الصَّيَّادُونَ عَلَى أَيِّ صَيْدٍ، وَرَجَعُوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْطَادُوا!!

وَظَلَّ الْحُوتُ عَلَى هَذَا الْحَالِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يُهَدِّدُ الصَّيَّادِينَ!!

فَأَخَذَ «فَارِسٌ» يُفَكِّرُ فِي هَذِهِ الْمُشْكِلَةِ.

وَقَفَ أَمَامَ الْمِرْآةِ.. فَرَأَى نَفْسَهُ فَتًى قَوِيًّا شُجَاعًا، وَقَالَ لِنَفْسِهِ:

ـ أَمَعْقُولٌ يَا «فَارِسُ» أَنْ يُهَدِّدَ حُوتٌ رِزْقَ أَهْلِ قَرْيَتِكَ، وَيَمْنَعَهُمُ الصَّيْدَ وَهُوَ مَصْدَرُ حَيَاتِهِمُ الْوَحِيدُ؟!!

وَفِي الْحَالِ.. أَخَذَ حَرْبَةً قَوِيَّةً مَسْنُونَةً، وَخَرَجَ قُرْبَ الْبَحْرِ، وَأَخَذَ يَتَدَرَّبُ عَلَى إِصَابَةِ الْهَدَفِ بِكُلِّ دِقَّةٍ.

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ مِنَ التَّدْرِيبِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُتْقِنَ الْإِصَابَةَ!

عَادَ «فَارِسٌ» إِلَى الْقَرْيَةِ، وَمَرَّ عَلَى كُلِّ بُيُوتِ الصَّيَّادِينَ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُقَابِلُوهُ فِي الصَّبَاحِ عِنْدَ الشَّاطِئِ.

وَفِي الصَّبَاحِ خَرَجَ الصَّيَّادُونَ، وَسَبَقَهُمْ «فَارِسٌ» بِحَرْبَتِهِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ ظَهَرَ الْحُوتُ، وَبِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ سَدَّدَ «فَارِسٌ» حَرْبَتَهُ فِي رَأْسِ الْحُوتِ فَقَتَلَهُ!!

وَأَسْرَعَ الْجَمِيعُ يَجُرُّونَ الْحُوتَ وَيُخْرِجُونَهُ مِنَ الْبَحْرِ، وَقَسَّمَهُ «فَارِسٌ» عَلَى الصَّيَّادِينَ جَمِيعًا!

وَبِهَذَا أَنْقَذَ الْفَتَى الشُّجَاعُ ـ بِحُسْنِ تَفْكِيرِهِ ـ أَهْلَ قَرْيَتِهِ مِنْ خَطَرِ الْحُوتِ، وَعَادُوا مَرَّةً أُخْرَى يَصِيدُونَ وَيَبِيعُونَ.



الْفَأْسُ الذَّهَبِيَّةُ

هَذِهِ قِصَّةٌ مِنَ الْأَدَبِ الشَّعْبِيِّ.. تَحْكِي أَنَّ حَطَّابًا فَقِيرًا كَانَ يَقُومُ بِقَطْعِ الْأَخْشَابِ عَلَى ضِفَّةِ أَحَدِ الْأَنْهَارِ، وَفَجْأَةً اضْطَرَبَتْ يَدُهُ، فَسَقَطَتِ الْفَأْسُ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا فِي النَّهْرِ.

جَلَسَ الرَّجُلُ يَبْكِي؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدِ انْتَهَى مِنْ عَمَلِهِ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَى النَّهْرِ، وَكَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ مُعْجِزَةً!

وَفَجْأَةً سَمِعَ صَوْتًا قَوِيًّا قَادِمًا مِنْ عُمْقِ النَّهْرِ!!

تَقَهْقَرَ الْحَطَّابُ إِلَى الْوَرَاءِ قَلِيلًا فِي خَوْفٍ، وَفَجْأَةً خَرَجَ مِنَ النَّهْرِ تِمْسَاحٌ كَبِيرٌ.

سَأَلَ التِّمْسَاحُ الْحَطَّابَ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ، فَأَخْبَرَهُ الرَّجُلُ كَيْفَ سَقَطَتِ الْفَأْسُ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا فِي النَّهْرِ، وَلَمْ يَنْتَهِ بَعْدُ مِنْ عَمَلِهِ.

قَالَ التِّمْسَاحُ:

ـ لَا تَحْزَنْ يَا صَدِيقِي.. سَأُحْضِرُ لَكَ فَأْسَكَ حَالًا.

غَابَ التِّمْسَاحُ فِي عُمْقِ النَّهْرِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ، ثُمَّ أَخْرَجَ فَأْسًا مِنَ الذَّهَبِ، وَسَأَلَ الْحَطَّابَ:

ـ أَهَذِهِ فَأْسُكَ؟

قَالَ الْحَطَّابُ الْفَقِيرُ:

ـ لَا.. لَيْسَتْ هَذِهِ فَأْسِي!

غَاصَ التِّمْسَاحُ مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ أَخْرَجَ فَأْسًا مِنْ فِضَّةٍ، وَسَأَلَ الْحَطَّابَ:

ـ أَهَذِهِ فَأْسُكَ؟

رَدَّ الْحَطَّابُ:

ـ لَا.. لَيْسَتْ هَذِهِ فَأْسِي!

غَاصَ التِّمْسَاحُ مَرَّةً ثَالِثَةً وَخَرَجَ بِفَأْسِ الرَّجُلِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَسَأَلَهُ:



ـ أَهَذِهِ فَأْسُكَ؟

قَالَ الْحَطَّابُ فِي سَعَادَةٍ:

ـ نَعَمْ.. نَعَمْ هِيَ فَأْسِي.

وَهُنَا انْدَهَشَ التِّمْسَاحُ مِنْ أَمَانَةِ الْحَطَّابِ، وَرَأَى أَنْ يَمْنَحَهُ الْفَأْسَيْنِ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضِّيَّةَ؛ نَظِيرَ أَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ وَقَنَاعَتِهِ.

ثُمَّ أَكْمَلَ الْحَطَّابُ عَمَلَهُ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ سَعِيدًا.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَكَى الْحَطَّابُ مَا حَدَثَ لِبَعْضِ أَصْدِقَائِهِ الْحَطَّابِينَ، فَطَمِعَ أَحَدُهُمْ فِي الْفَأْسِ الذَّهَبِيَّةِ.

ذَهَبَ الْحَطَّابُ الطَّمَّاعُ إِلَى النَّهْرِ وَأَلْقَى فَأْسَهُ، وَأَخَذَ يَبْكِي وَيَتَظَاهَرُ بِالْحُزْنِ وَالْأَلَمِ، دَاعِيًا اللَّهَ أَنْ يُعِيدَ لَهُ فَأْسَهُ.

خَرَجَ التِّمْسَاحُ مِنَ الْمَاءِ، وَسَأَلَ الرَّجُلَ عَنْ سِرِّ بُكَائِهِ، فَأَخْبَرَهُ بِسُقُوطِ فَأْسِهِ فِي النَّهْرِ!

غَطَسَ التِّمْسَاحُ بِسُرْعَةٍ وَأَحْضَرَ فَأْسًا ذَهَبِيَّةً، وَسَأَلَ الرَّجُلَ:

ـ أَهَذِهِ فَأْسُكَ؟

أَسْرَعَ الْحَطَّابُ الطَّمَّاعُ قَائِلًا:

ـ نَعَمْ.. نَعَمْ هَذِهِ فَأْسِي، شُكْرًا لَكَ.

أَدْرَكَ التِّمْسَاحُ أَنَّ الرَّجُلَ يَكْذِبُ، فَرَفَضَ أَنْ يُعْطِيَهُ الْفَأْسَ الذَّهَبِيَّةَ، كَمَا رَفَضَ أَنْ يُخْرِجَ لَهُ فَأْسَهُ الْحَقِيقِيَّةَ.

خَبَطَ التِّمْسَاحُ بِذَيْلِهِ مَاءَ النَّهْرِ فِي غَيْظٍ، فَأَغْرَقَ الْمَاءُ وَجْهَ الرَّجُلِ وَمَلَابِسَهُ.

وَعَادَ الْحَطَّابُ الطَّمَّاعُ بِخَيْبَةِ أَمَلِهِ نَتِيجَةَ طَمَعِهِ وَكَذِبِهِ.



بَسَاطَةُ فَيْلَسُوفٍ

كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَكِّرِينَ وَالْفَلَاسِفَةِ عَاشُــوا حَيَاةً بَسِيطَةً بَعِيدَةً عَنِ الثَّرَاءِ وَالْمَالِ، وَكَانَتْ ثَرْوَتُهُمْ فِي تَفْكِيرِهِمُ الَّذِي أَضَافَ الْكَثِيرَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ.

وَالْفَيْلَسُــوفُ الْيُونَانِيُّ «دُيُوجِين» مِنْ أَشْــهَرِ حُكَمَاءِ الْإِنْسَــانِيَّةِ، نَشَأَ فِي «كُورِنْت» إِحْدَى مُدُنِ الْيُونَانِ الْقَدِيمَةِ، وَحِينَمَا بَلَغَ السَّــابِعَةَ مِنْ عُمُرِهِ ذَهَبَ إِلَى «أَثِينا»، وَبَحَثَ عَنْ مُعَلِّمٍ مَشْــهُورٍ؛ لِكَيْ يَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى يَدَيْهِ، فَلَمَّا وَجَدَهُ قَالَ لَهُ:

ـ أُرِيدُكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي كَيْفَ أُصْبِحُ حَكِيمًا!

نَظَرَ الْمُعَلِّمُ إِلَيْهِ فِي احْتِقَارٍ وَقَالَ:

ـ عُدْ إِلَى بَيْتِكَ أَيُّهَا الشَّابُّ، فَالْحِكْمَةُ هِيَ مَا تَتَعَلَّمُهُ مِنَ التَّجَارِبِ.

قَالَ «دُيُوجِين»:

ـ لَكِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ تَضَعَنِي عَلَى أَوَّلِ الطَّرِيقِ.

قَالَ الْمُعَلِّمُ:

ـ مَعِي طُلَّابٌ كِبَارٌ كَثِيرُونَ، وَقَدْ يُزْعِجُهُمْ وُجُودُ صَبِيٍّ مِثْلِكَ بَيْنَهُمْ.

قَالَ «دُيُوجِين» بِإِلْحَاحٍ شَدِيدٍ:

ـ يَا سَــيِّدِي.. لَقَدْ تَرَكْتُ بَلَدِي «كُورِنْت» إِلَى «أَثِينَا» لِكَيْ أَتَعَلَّمَ، وَلَنْ أَعُودَ حَتَّى أَتَعَلَّمَ شَيْئًا!

وَهُنَا تَنَاوَلَ الْمُعَلِّمُ عَصَاهُ وَقَالَ:

ـ أُعَلِّمُكَ أَوَّلًا أَلَّا تَكُونَ وَقِحًا!

ثُمَّ انْهَالَ عَلَيْهِ ضَرْبًا بِالْعَصَا، لَكِنَّ «دُيُوجِين» لَمْ يَتَأَلَّمْ، وَلَمْ يَبْتَعِدْ، بَلْ قَالَ:

ـ اضْرِبْنِي يَا سَــيِّدِي كَمَا تَشَــاءُ، لَقَدْ قَرَّرْتُ أَلَّا أَذْهَبَ عَنْكَ حَتَّى أَحْصُلَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَأَظُنُّنِي تَعَلَّمْتُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يُعَلِّمُ الْآخَرِينَ عَلَيْهِ

أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا مَعَهُمْ؛ لِأَنَّ الْقَسْوَةَ قَدْ تُفْقِدُهُ صَوَابَهُ، وَتُنْزِلُهُ مِنْ مَكَانَتِهِ أَمَامَ تَلَامِيذِهِ.

وَهُنَا تَوَقَّفَ الْمُعَلِّمُ عَنْ ضَرْبِ «دُيُوجِين» وَأَعْلَنَ أَسَفَهُ، وَسَمَحَ لَهُ بِالْحُضُورِ لِيَتَعَلَّمَ.

انْضَمَّ «دُيُوجِين» إِلَى تَلَامِيذِ الْمُعَلِّمِ، وَأَظْهَرَ تَفَوُّقًا كَبِيرًا، لَقَدْ تَعَلَّمَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَمِنَ الْكُتُبِ، وَمِنَ النَّاسِ، وَمِنَ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ، وَمِنَ الْحَوَادِثِ التَّافِهَةِ، وَالْأَحْدَاثِ الْكَبِيرَةِ، وَمِنْ رِحْلَاتِهِ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ.

وَلَمْ يَتْرُكْ «دُيُوجِين» شَيْئًا إِلَّا تَعَلَّمَ مِنْهُ شَيْئًا مَهْمَا صَغُرَ شَأْنُهُ أَوْ كَبُرَ.

وَبَدَأَ «دُيُوجِين» يَدْعُو إِلَى الْبَسَاطَةِ فِي الْحَيَاةِ؛ فَقَدْ كَانَ يَمْشِي حَافِيَ الْقَدَمَيْنِ، وَيَلْبَسُ ثَوْبًا بَسِيطًا، وَيَحْمِلُ بِيَدِهِ عَصًا، وَعَلَى ظَهْرِهِ مِخْلَاةٌ، وَكَثِيرًا مَا سَخِرَ مِنْهُ النَّاسُ سُخْرِيَةً لَاذِعَةً.. وَهُوَ لَا يُلْقِي لَهُمْ بَالًا.

وَكَانَ يَقُولُ:

ـ كَيْفَ نَحْشُو أَجْسَامَنَا بِالطَّعَامِ الْكَثِيرِ، وَنَعِيشُ فِي تَرَفٍ وَمَلَذَّاتٍ؟ عَلَيْنَا أَنْ نَعِيشَ بِبَسَاطَةٍ، وَنَدَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَا عَدَا الضَّرُورِيَّ وَالْمُهِمَّ. إِنَّ رَاحَةَ الْإِنْسَانِ فِي الشَّيْءِ الْبَسِيطِ.

كَانَ يَعِيشُ عَلَى أَبْسَطِ الطَّعَامِ، وَرَفَضَ أَنْ يَعِيشَ فِي بَيْتٍ مِثْلَ كُلِّ النَّاسِ، بَلْ عَاشَ فِي بِرْمِيلٍ كَبِيرٍ يُدَحْرِجُهُ مِنْ مَكَانٍ مُشْمِسٍ إِلَى آخَرَ، وَكَانَ يَسِيرُ وَيَحْمِلُ مِصْبَاحًا مُضَاءً فِي وَضَحِ النَّهَارِ، فَسَأَلَهُ النَّاسُ:

ـ كَيْفَ تَحْمِلُ الْمِصْبَاحَ فِي النَّهَارِ؟! عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْحَثُ؟

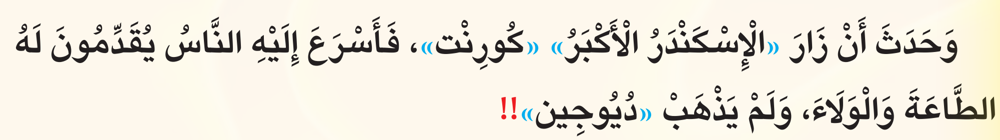
قَالَ:

ـ أَبْحَثُ عَنْ إِنْسَانٍ نَزِيهٍ!!

وَكَانَ يَقُولُ:

ـ مَنْ يَحْمِلْ مِصْبَاحَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ يُرْسِلْ ظِلَّهُ أَمَامَهُ.







وَحَدَثَ أَنْ زَارَ «الْإِسْكَنْدَرُ الْأَكْبَرُ» «كُورِنْت»، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ يُقَدِّمُونَ لَهُ الطَّاعَةَ وَالْوَلَاءَ، وَلَمْ يَذْهَبْ «دُيُوجِين»!!

وَكَانَ «الْإِسْكَنْدَرُ» قَدْ سَمِعَ عَنْ حِكْمَةِ «دُيُوجِين» وَمَكَانَتِهِ الْعَقْلِيَّةِ، فَقَالَ:

- إِذَا لَمْ يَأْتِ «دُيُوجِين» الْكَبِيرُ إِلَى «الْإِسْكَنْدَرِ»، فَعَلَى «الْإِسْكَنْدَرِ» أَنْ يَذْهَبَ هُوَ إِلَيْهِ!

وَذَهَبَ «الْإِسْكَنْدَرُ» بِرِجَالِهِ حَيْثُ كَانَ «دُيُوجِين» جَالِسًا أَمَامَ بِرْمِيلِهِ يَتَأَمَّلُ.

حَيَّاهُ «الْإِسْكَنْدَرُ»، وَقَالَ:

- لَقَدْ وَصَلَتْنِي أَخْبَارُ حِكْمَتِكَ عَبْرَ الْبِحَارِ، وَلَابُدَّ أَنَّكَ سَمِعْتَ عَنِّي الْكَثِيرَ، إِنَّنِي أُقَدِّرُ حِكْمَتَكَ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَعْرِضَ عَلَيَّ أَيَّةَ أُمْنِيَّةٍ تُرِيدُهَا فَأُحَقِّقَهَا لَكَ.

وَهُنَا أَفَاقَ «دُيُوجِين» مِنْ تَأَمُّلِهِ، وَقَالَ:

- نَعَمْ.. لَدَيَّ أَمْرٌ وَاحِدٌ أُرِيدُكَ أَنْ تُحَقِّقَهُ.

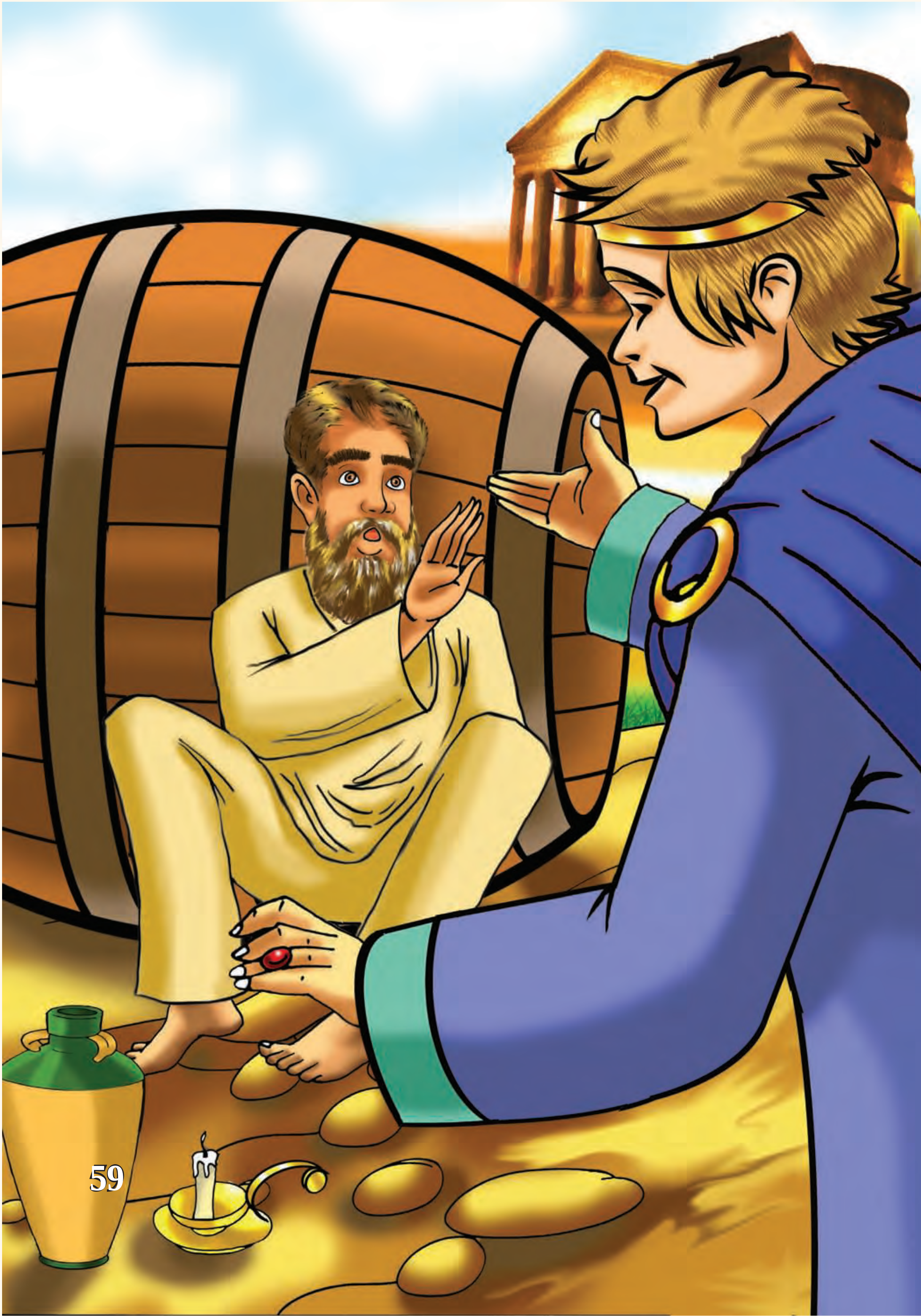
قَالَ «الْإِسْكَنْدَرُ»:

- قُلْ مَا تَشَاءُ.

قَالَ «دُيُوجِين»:

- أُرِيدُكَ أَنْ تَتَنَحَّى جَانِبًا؛ لِأَنَّكَ تَحْجُبُ عَنِّي ضَوْءَ الشَّمْسِ!

هَكَذَا كَانَ يَعِيشُ الْفَيْلَسُوفُ الْبَسِيطُ «دُيُوجِين»!



كُولُومْبُوس وَالْبَيْضَةُ

«كُولُومْبُوس» مُكْتَشِفُ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ، وُلِدَ فِي «جِنْوَة» بِإِيطَالْيَا، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى «لِشْبُونَة» فِي أَسْبَانْيَا، وَتَزَوَّجَ مِنَ ابْنَةِ بَحَّارٍ عَجُوزٍ يَمْلِكُ بَعْضَ خَرَائِطَ تُوحِي بِأَنَّهُ يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَى آسْيَا بِالْإِبْحَارِ غَرْبًا.

حَاوَلَ «كُولُومْبُوس» إِقْنَاعَ مَلِكِ الْبُرْتُغَالِ بِمُسَاعَدَتِهِ، لَكِنَّهُ أَخْفَقَ، وَسَاعَدَهُ مَلِكُ أَسْبَانْيَا وَزَوْجَتُهُ «إِيزَابِيلَّا»، وَعِنْدَمَا عَادَ مِنْ رِحْلَتِهِ مُكْتَشِفًا الْعَالَمَ الْجَدِيدَ، دَعَاهُ الْمَلِكُ لِإِقَامَةِ حَفْلٍ عَلَى شَرَفِهِ.

لَمْ يَكُنْ «كُولُومْبُوس» مِنَ النُّبَلَاءِ، وَكَانَ النُّبَلَاءُ يَسْخَرُونَ مِنْهُ، بَلْ كَانَ لَدَيْهِمْ شُعُورٌ قَوِيٌّ بِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يُنْجِزَ مَا يَدَّعِيهِ.

وَفِي حَفْلِ الْمَلِكِ انْقَلَبَ النُّبَلَاءُ نَاقِمِينَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ أَثْبَتَ قُدْرَتَهُ عَلَى تَحْقِيقِ مَا يَدَّعِيهِ؛ حَيْثُ بَدَأَتِ الْكَلِمَاتُ تَتَـوَالَى فِي تَكْرِيمِ «كُولُومْبُوس»، فَقَامَ أَحَدُ النُّبَلَاءِ النَّاقِمِينَ عَلَيْهِ وَقَالَ:

ـ لَا أُرِيدُ أَنْ أَبْدُوَ فَظًّا، لَكِنْ بِرَغْمِ كُلِّ مَا حَدَثَ، دَعُونِي أَسْـأَلْ: مَا الَّذِي يَلْفِتُ النَّظَرَ فِيمَا قَامَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ؟ أَرْضٌ جَدِيدَةٌ اكْتَشَفَهَا عَبْرَ الْمُحِيطِ!! أَلَيْسَـتِ الْأَرْضُ مَوْجُودَةً بِالْفِعْلِ، وَتَنْتَظِرُ مَنْ يَجِدُهَا؟ أَلَيْسَتْ هَذِهِ حَقِيقَةً وَاقِعَةً؟! إِذَنْ كَانَ بِإِمْكَانِ أَيِّ شَـخْصٍ غَيْرِ «كُولُومْبُوس» أَنْ يَقُومَ بِمَا قَامَ بِهِ، وَسَاعَتَهَا قَدْ يَسْتَحِقُّ أَوْ لَا يَسْتَحِقُّ هَذَا التَّكْرِيمَ!!

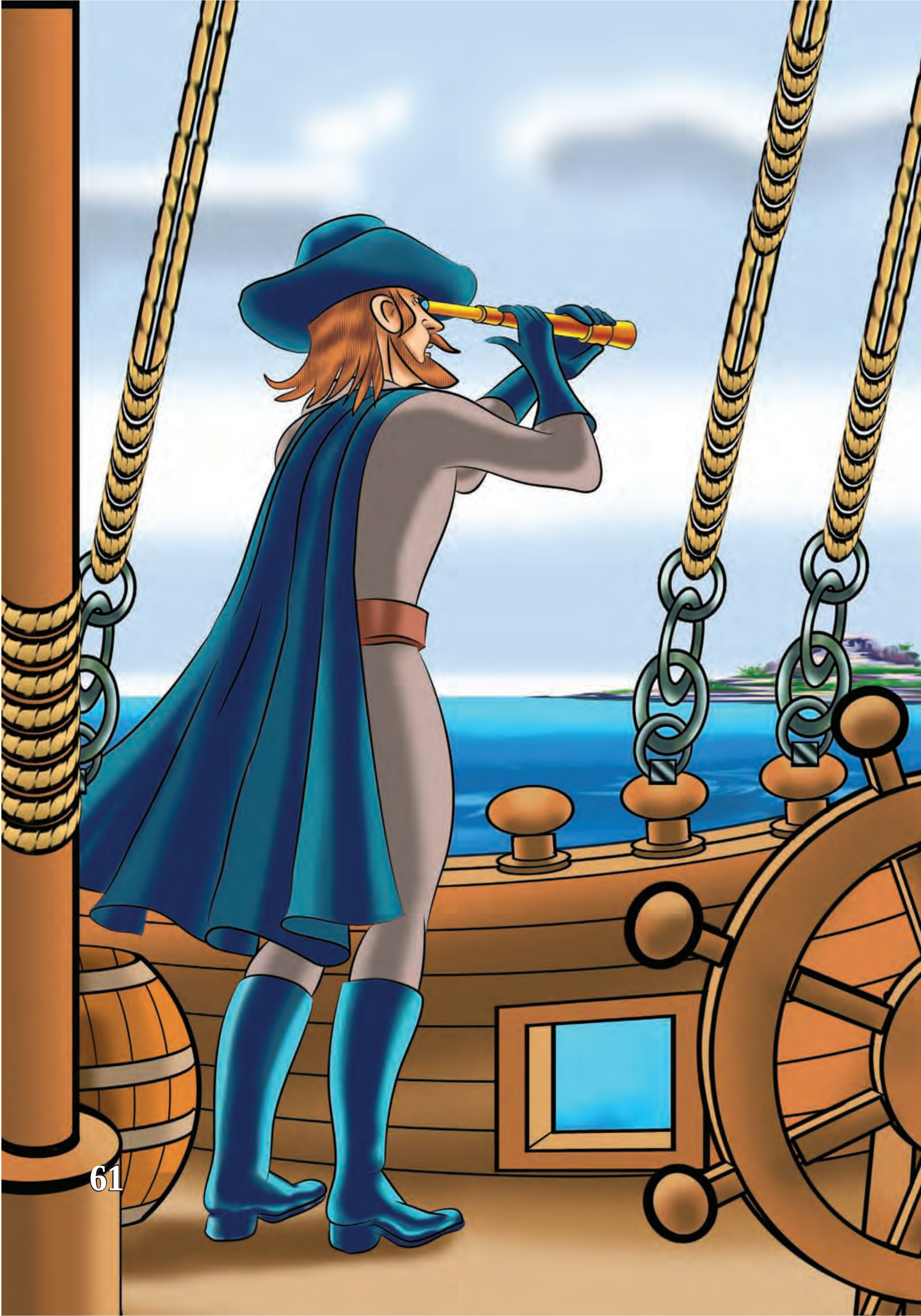
هَمْهَمَ الْجَمِيعُ، لَكِنَّ «كُولُومْبُوس» هَمَّ بِالْكَلَامِ، فَصَمَتَ الْجَمِيعُ وَقَالَ:

ـ سَيِّدِي النَّبِيلَ.. لَعَلَّكَ مُحِقٌّ تَمَامًا فِيمَا قُلْتَ، فَأَيُّ شَخْصٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُومَ بِمَا قُمْتُ بِهِ تَمَامًا، كَمَا يُمْكِنُ لِأَيِّ رَجُلٍ أَنْ يُوقِفَ بَيْضَةً عَلَى نِهَايَتِهَا.

هَمْهَمَ الْجَمِيعُ.. وَقَالَ النَّبِيلُ:

ـ مَاذَا تَقْصِدُ يَا «كُولُومْبُوس»؟! أَنَا لَمْ أَفْهَمْ هَذِهِ الْمُلَاحَظَةَ.

قَالَ «كُولُومْبُوس»:



ـ أَعْطِنِي بَيْضَةً؛ لِأُرِيَكَ مَا قَصَدْتُهُ!

وَأَحْضَرُوا لَهُ بَيْضَةً. وَهُنَا قَالَ «كُولُومْبُوس» لِلنَّبِيلِ:

ـ أَمْسِكْ هَذِهِ الْبَيْضَةَ، وَحَاوِلْ أَنْ تَجْعَلَهَا تَقِفُ عَلَى نِهَايَتِهَا، إِنَّهُ فِي ظَنِّي عَمَلٌ بَسِيطٌ يُمْكِنُكَ الْقِيَامُ بِهِ.

نَظَرَ النَّبِيلُ بِغَيْظٍ إِلَى «كُولُومْبُوس»، وَوَسَطَ صَمْتِ وَتَرَقُّبِ الْجَمِيعِ مَدَّ النَّبِيلُ يَدَهُ وَأَخَذَ الْبَيْضَةَ، وَاقْتَرَبَ مِنْ إِحْدَى الْمَوَائِدِ، وَحَاوَلَ أَنْ يُوَازِنَ الْبَيْضَةَ؛ كَيْ تَقِفَ عَلَى مُؤَخِّرَتِهَا، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَتَدَحْرَجُ وَلَا تَثْبُتُ!!

وَهُنَا تَسَاءَلَ «كُولُومْبُوس»:

ـ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ هُنَا مِنَ السَّادَةِ وَالنُّبَلَاءِ أَنْ يُحَاوِلَ هَذِهِ التَّجْرِبَةَ؟

وَبِدَافِعِ الْفُضُولِ وَالتَّجْرِبَةِ، تَقَدَّمَ عَدَدٌ كَبِيرٌ لِلْمُحَاوَلَةِ، لَكِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْجَحَ فِي التَّجْرِبَةِ!! وَهُنَا قَالَ الْمَلِكُ صَاحِبُ الدَّعْوَةِ:

ـ جَاءَ دَوْرُكَ إِذَنْ يَا «كُولُومْبُوس».

أَمْسَكَ «كُولُومْبُوس» بِالْبَيْضَةِ وَقَالَ:

ـ انْظُرُوا أَيُّهَا السَّادَةُ.

وَبِسُرْعَةٍ نَقَرَ عَلَى قِشْرَةِ الْبَيْضَةِ، فَأَحْدَثَ فَجْوَةً صَغِيرَةً، ثُمَّ وَضَعَ النِّهَايَةَ الْمُفَلْطَحَةَ عَلَى الْمَائِدَةِ، فَوَقَفَتِ الْبَيْضَةُ مُتَوَازِنَةً تَمَامًا!

أَخَذَ الْجَمِيعُ يَضْحَكُونَ وَيُقَهْقِهُونَ، وَشَعَرَ النَّبِيلُ أَنَّ الضَّحِكَ مُوَجَّهٌ إِلَيْهِ، فَصَاحَ فِي غَيْظٍ:

ـ آهٍ.. حَسَنًا، يَسْتَطِيعُ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ!

وَهُنَا قَالَ «كُولُومْبُوس»:

ـ طَبْعًا طَبْعًا.. لَقَدْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْأَمْرَ بَسِيطٌ، فَبِإِمْكَانِ أَيِّ شَخْصٍ أَنْ يُوقِفَ الْبَيْضَةَ عَلَى نِهَايَتِهَا أَوْ يَكْتَشِفَ أَرْضًا جَدِيدَةً، لَكِنَّ كُلَّ مَا نَحْتَاجُهُ هُوَ أَنْ يَبْدَأَ شَخْصٌ، وَيُرِينَا كَيْفَ يَقُومُ بِذَلِكَ.

وَبِهَذَا اسْتَطَاعَ «كُولُومْبُوس» أَنْ يُؤَكِّدَ قُدْرَتَهُ عَلَى إِنْجَازِ مَا وَعَدَ!



رَادُوبِيس

تَدُورُ أَحْدَاثُ هَـذِهِ الْقِصَّةِ فِي مَدِينَةِ «مَنْف» فِي مِصْرَ الْقَدِيمَةِ، حَيْثُ كَانَ يَعِيشُ تَاجِرٌ ثَرِيٌّ فِي قَصْرِهِ الْفَخْمِ الْكَائِنِ عَلَى شَاطِئِ النِّيلِ.

وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ جَمِيلَةٌ تُسَـمَّى «رَادُوبِيس»، وَيَشَـاءُ الْقَدَرُ أَنْ تُصَابَ أُمُّهَا بِمَرَضٍ خَطِيرٍ، فَاسْتَدْعَتِ الْأُمُّ ابْنَتَهَا الْجَمِيلَةَ وَقَالَتْ لَهَا:

ـ سَوْفَ أَتْرُكُ الدُّنْيَا قَرِيبًا يَا ابْنَتِي، وَأَظُنُّ أَنَّ أَبَاكِ سَوْفَ يَتَزَوَّجُ بِامْرَأَةٍ أُخْرَى، فَتَحَمَّلِي يَا ابْنَتِي مَا سَوْفَ يَحْدُثُ.

ثُمَّ أَعْطَتْهَا صُنْدُوقًا مِنْ خَشَبِ الصَّنْدَلِ الْمُطَعَّمِ بِالذَّهَبِ وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَأَوْصَتْهَا أَنْ تَحْتَفِظَ بِهِ فِي مَكَانٍ أَمِينٍ، وَقَالَتْ لَهَا:

ـ سَـتَجِدِينَ فِي هَذَا الصُّنْدُوقِ قِلَادَةَ «حَتْحُورَ» الْجَمِيلَـةَ، فَلَا تَضَعِيهَا فَوْقَ صَدْرِكِ إِلَّا فِي يَوْمِ زِفَافِكِ.

ثُمَّ أَعْطَتْهَا صُنْدُوقًا آخَرَ مِنْ خَشَبِ الْأَبَنُوسِ وَقَالَتْ لَهَا:

ـ أَمَّا هَذَا الصُّنْدُوقُ فَفِيهِ حِذَاءٌ نَفِيسٌ عَجِيبٌ، مَصْنُوعٌ مِنْ جِلْدِ الْغَزَالِ الذَّهَبِيِّ اللَّوْنِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَقَاسِ فَتَاةٍ غَيْرِكِ.

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ، وَرَحَلَتِ الْأُمُّ، وَتَزَوَّجَ الْأَبُ مِنَ امْرَأَةٍ أُخْرَى وَلَدَتْ لَهُ بِنْتَيْنِ أَقَلَّ جَمَالًا مِنْ «رَادُوبِيس».

وَكَانَتْ زَوْجَةُ الْأَبِ تَأْمُـرُ «رَادُوبِيس» بِأَنْ تَقُومَ بِأَعْمَالِ الْمَنْزِلِ مِنَ الْكَنْسِ وَالتَّنْظِيـفِ وَالطَّهْيِ، أَمَّا أُخْتَاهَا فَكَانَتَا لَا تُؤَدِّيَانِ أَيَّ عَمَلٍ فِي الْبَيْتِ، مِمَّا جَعَلَ «رَادُوبِيس» تَشْعُرُ بِأَنَّهَا صَارَتْ خَادِمَةً فِي بَيْتِ أَبِيهَا الَّذِي انْشَغَلَ عَنْهَا بِتِجَارَتِهِ وَأَعْمَالِهِ، وَتَرَكَ أَمْرَ الْبَيْتِ لِزَوْجَتِهِ الْقَاسِيَةِ!!

وَبَعْدَ سَـنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ مَاتَ رَبُّ الْأُسْـرَةِ، وَأَمْعَنَتْ زَوْجَـةُ الْأَبِ فِي مُعَامَلَةِ «رَادُوبِيس» مُعَامَلَةً قَاسِيَةً.



وَذَاتَ مَرَّةٍ اكْتَشَـــفَتِ الْمَرْأَةُ صُنْدُوقَ الْمُجَوْهَرَاتِ الَّذِي أَخْفَتْهُ «رَادُوبِيسُ»، فَأَخَذَتْهُ إِلَى كَبِيرِ الصَّاغَةِ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهَا بِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ.

وَحِينَمَا عَلِمَتْ «رَادُوبِيسُ» بِذَلِكَ، حَزِنَتْ حُزْنًا شَدِيدًا، وَخَافَتْ عَلَى الصُّنْدُوقِ الْآخَرِ الَّذِي يَحْتَوِي عَـــلَى الْحِذَاءِ النَّفِيسِ، فَحَمَلَتْهُ وَخَرَجَـــتْ بِهِ إِلَى الْحَدِيقَةِ، وَحَفَرَتْ حُفْرَةً بِجَانِبِ شَجَرَةِ الْوَرْدِ، وَأَخْفَتْهُ فِيهَا.

وَحِينَمَا جَاءَ مَوْعِدُ أَعْيَادِ الرَّبِيعِ، أَعْلَنَ الْأَمِيرُ أَنَّهُ سَوْفَ يَخْتَارُ عَرُوسًا مِنْ بَيْنِ فَتَيَاتِ «مَنْفَ» الْجَمِيلَاتِ، وَحَدَّدَ يَوْمًا يُقِيمُ فِيهِ احْتِفَالًا طَوَالَ الْيَوْمِ تَسْـــتَطِيعُ كُلُّ فَتَاةٍ حُضُورَهُ؛ لِكَيْ يَرَاهَا الْأَمِيرُ بِنَفْسِهِ.

فَمَا كَانَ مِنْ زَوْجَةِ الْأَبِ، إِلَّا أَنْ زَيَّنَتِ ابْنَتَيْهَا بِأَجْمَلِ الزِّينَاتِ وَالْأَثْوَابِ، وَذَهَبْنَ إِلَى الْحَفْلِ تَـــارِكَاتٍ «رَادُوبِيسَ» وَحْدَهَا فِي الْبَيْتِ غَارِقَـــةً فِي حُزْنِهَا وَدُمُوعِهَا وَشَقَائِهَا!!

وَجَدَتْ «رَادُوبِيسُ» نَفْسَـــهَا وَحِيدَةً، فَفَكَّرَتْ أَنْ تَتَسَلَّى بِشَيْءٍ، فَخَرَجَتْ إِلَى الْحَدِيقَةِ تَسْـــتَمْتِعُ بِشَـــمْسِ الرَّبِيعِ، ثُمَّ أَخْرَجَتِ الصُّنْدُوقَ الَّذِي أَخْفَتْهُ تَحْتَ شَـــجَرَةِ الْوَرْدِ، وَأَخْرَجَتِ الْحِذَاءَ الْجَمِيلَ وَوَضَعَتْهُ أَمَامَهَا لِتَتَأَمَّلَهُ، ثُمَّ فَكَّرَتْ أَنْ تَلْبَسَـــهُ، لَكِنَّهَا اكْتَشَفَتْ أَنَّ قَدَمَيْهَا تَغُوصَانِ فِي الْقَذَارَةِ، مِنْ طُولِ الْإِهْمَالِ! فَاتَّجَهَتْ إِلَى بِرْكَةِ الْمَاءِ لِتَغْسِلَ قَدَمَيْهَا.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ خَطَفَ نَسْـــرٌ ضَخْمٌ إِحْدَى فَرْدَتَيِ الْحِذَاءِ الْجَمِيلِ؛ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهَا فَرِيسَةٌ تُؤْكَلُ، ثُمَّ ارْتَفَعَ بِسُـــرْعَةٍ فِي الْفَضَاءِ، وَظَلَّ يَطِيرُ بِهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى حَفْلِ الْأَمِيرِ، فَفَزِعَ مِنْ دَقَّاتِ الطُّبُولِ، وَسَـــقَطَ مِنْهُ الْحِذَاءُ لِيَسْـــتَقِرَّ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ، وَأُعْجِبَ الْأَمِيرُ بِالْحِذَاءِ، وَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يَرَى الْفَرْدَةَ الْأُخْرَى، لَكِنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئًا!

قَالَ الْأَمِيرُ لِنَفْسِهِ:

ـ إِذَا كَانَ هَذَا الْحِذَاءُ بِهَذَا الْجَمَالِ وَالرَّوْعَةِ، فَكَيْفَ تَكُونُ صَاحِبَةُ الْحِذَاءِ؟! لَابُدَّ أَنَّهَا أَكْثَرُ جَمَالًا وَرَوْعَةً!



وَعَلَى الْفَوْرِ أَمَرَ حُرَّاسَهُ بِالْإِسْــرَاعِ فِي الْبَحْثِ عَنْ صَاحِبَةِ الْحِذَاءِ. وَانْفَضَّ الْحَفْلُ الْكَبِيرُ.

وَمَكَثَتِ الْفَتَيَــاتُ فِي بُيُوتِهِنَّ يَنْتَظِرْنَ رِجَالَ الْأَمِيــرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْحِذَاءَ وَيَقِيسُونَهُ عَلَى قَدَمِ أَيَّةِ فَتَاةٍ مَهْمَا كَانَتْ طَبَقَتُهَا الِاجْتِمَاعِيَّةُ.

وَطَرَقَ الرِّجَــالُ بَابَ بَيْتِ أَبِي «رَادُوبِيسَ»، فَاسْــتَقْبَلَتْهُمُ الْمَرْأَةُ وَابْنَتَاهَا، وَجَرَّبَ الرِّجَالُ الْحِــذَاءَ عَلَى قَدَمَيْ كُلِّ فَتَاةٍ مِنَ الْفَتَاتَيْــنِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَقَاسِ أَيٍّ مِنْهُمَا. ثُمَّ رَأَى أَحَدُ الرِّجَالِ «رَادُوبِيسَ» تُطِلُّ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ السَّتَائِرِ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ! فَسَأَلَ:

- مَنْ هَذِهِ الْفَتَاةُ؟

فَقَالَتِ الْأُمُّ:

- إِنَّهَا بِنْتُ الْبُسْتَانِيِّ.. إِنَّ قَدَمَيْهَا قَذِرَتَانِ.

لَكِنَّ الرَّجُلَ أَصَرَّ عَلَى تَجْرِبَةِ الْحِذَاءِ، فَنَادَى عَلَيْهَا، فَجَاءَتْ وَوَضَعَ الْحِذَاءَ فِي إِحْدَى قَدَمَيْهَا، فَكَانَ مُلَائِمًا تَمَامًا لَهَا. وَهُنَا صَرَخَتِ الْمَرْأَةُ:

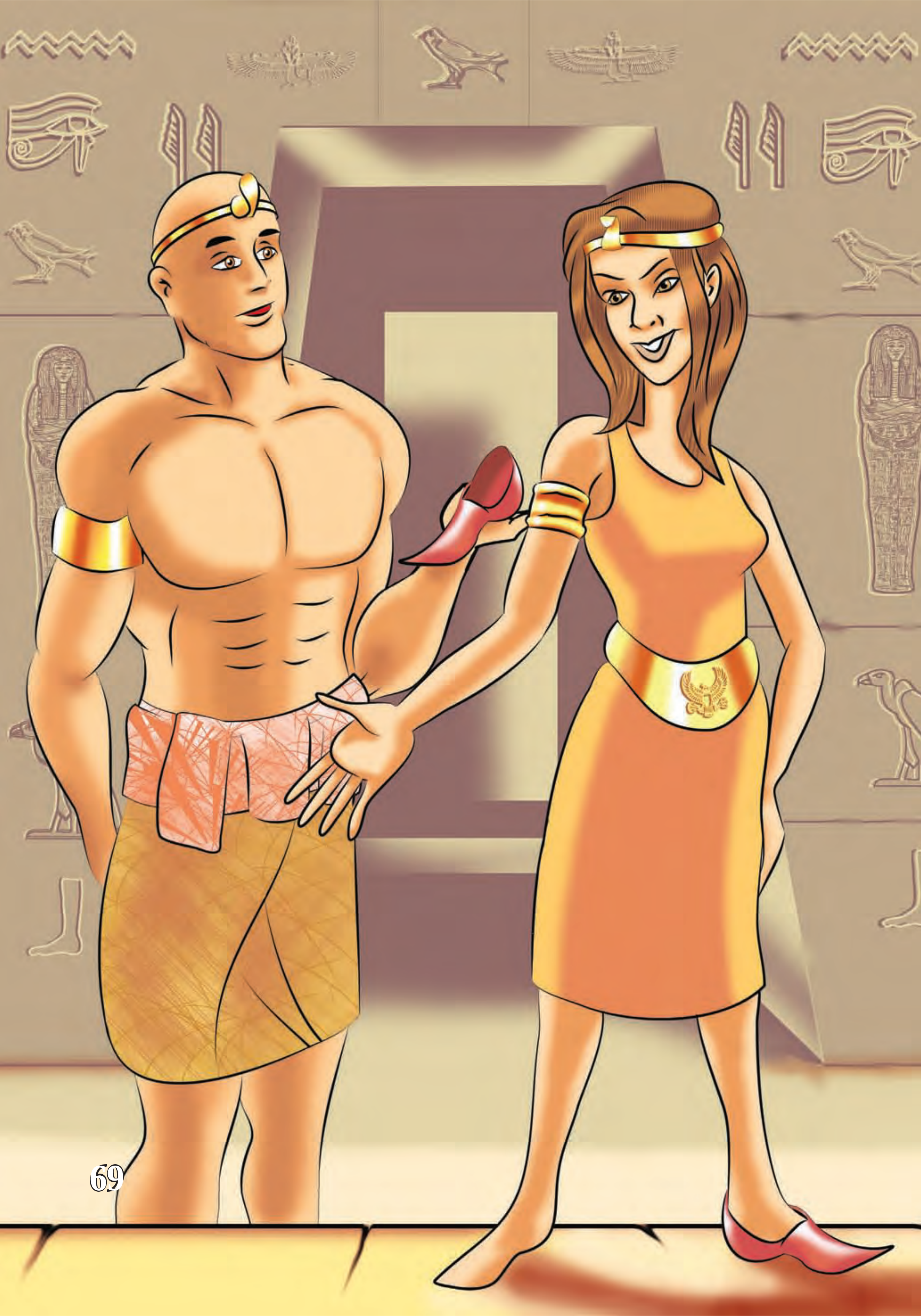
- لَا يُمْكِنُ.. غَيْرُ مَعْقُولٍ!!

لَمْ تَنْتَظِرْ «رَادُوبِيسُ» أَيَّ تَعْلِيقٍ، بَلْ أَسْرَعَتْ إِلَى صُنْدُوقِهَا وَأَخْرَجَتْ لِلرِّجَالِ الْفَرْدَةَ الْأُخْرَى مِنَ الْحِذَاءِ، وَجَرَّبَتْهُ أَمَامَهُمْ.

وَتَجْرِي الْأَحْدَاثُ بِسُرْعَةٍ، وَتُرَى «رَادُوبِيسُ» فِي قِمَّةِ جَمَالِهَا بِجَانِبِ الْأَمِيرِ، وَيُبَارِكُ الْفِرْعَوْنُ زَوَاجَهُمَا.

وَتَحْدُثُ مُفَاجَأَةٌ أُخْرَى عِنْدَمَا قَدَّمَ الْأَمِيرُ لَهَا هَدِيَّةَ الزَّوَاجِ، فَإِذَا بِهَا صُنْدُوقُ مَصَاغِهَا الَّذِي تَتَوَسَّــطُهُ قِلَادَةُ «حَتْحُورَ» الْجَمِيلَةُ، وَتَضَعُهَا «رَادُوبِيسُ» عَلَى صَدْرِهَا كَمَا أَوْصَتْ بِذَلِكَ أُمُّهَا.

وَبَعْدُ.. أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ «سِنْدِرِيلَّا» مِصْرَ الْقَدِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تُكْتَبَ «سِنْدِرِيلَّا» الْحَدِيثَةُ بِقُرُونٍ كَثِيرَةٍ؟!



أُسْطُورَةُ الشَّمْسِ وَالرِّيحِ

الشَّمْسُ تَعْنِي الدِّفْءَ وَالْحَرَارَةَ.. وَالرِّيحُ تَعْنِي الْبَرْدَ وَالصَّقِيعَ.

وَذَاتَ صَبَاحٍ كَانَتِ الشَّمْسُ تُرْسِلُ أَشِعَّتَهَا الذَّهَبِيَّةَ فَوْقَ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ رِيحُ الشَّمَالِ الْعَاصِفَةُ وَاقْتَرَبَتْ مِنَ الشَّمْسِ.

سَأَلَتْهَا الشَّمْسُ:

- مَاذَا تُرِيدِينَ أَيَّتُهَا الرِّيحُ؟

قَالَتِ الرِّيحُ فِي عِنَادٍ:

- أُرِيدُ أَنْ نَتَرَاهَنَ عَلَى شَيْءٍ.

قَالَتِ الشَّمْسُ:

- لَيْسَ لَدَيَّ وَقْتٌ لِهَذَا!

قَالَتِ الرِّيحُ:

- لَنْ أُضَيِّعَ وَقْتَكِ..

قَالَتِ الشَّمْسُ:

- أَيَّ رِهَانٍ تُرِيدِينَ؟

قَالَتِ الرِّيحُ:

- نَخْرُجُ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَنَتَرَاهَنُ: مَنْ مِنَّا يَمْلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانَ يَخْلَعُ مَلَابِسَهُ.

ضَحِكَتِ الشَّمْسُ مِنْ كَلَامِ الرِّيحِ، لَكِنَّ الرِّيحَ صَاحَتْ فِي إِصْرَارٍ:

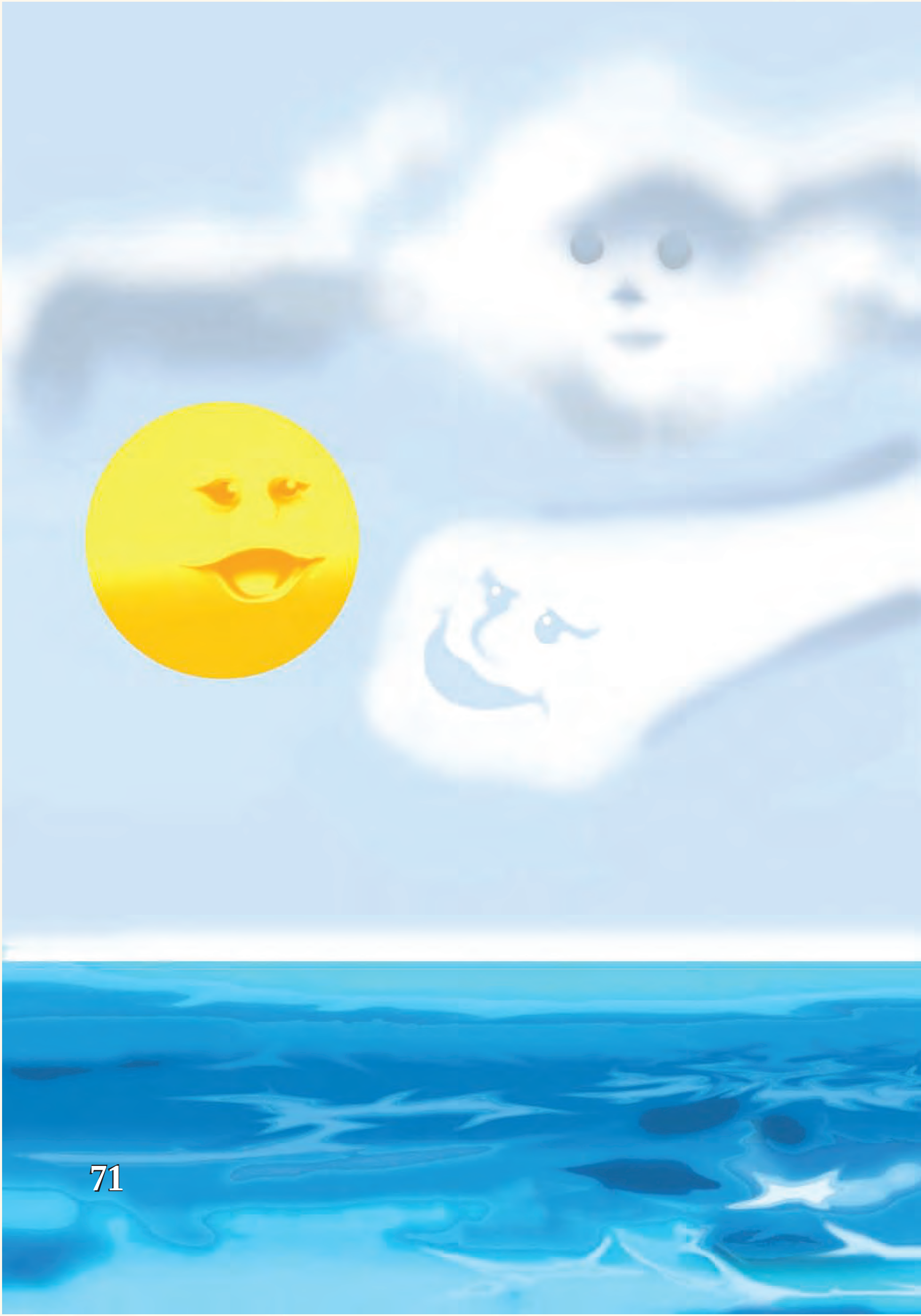
- أَنَا أَسْتَطِيعُ بِقُوَّتِي أَنْ أُجَرِّدَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَلَابِسِهِ وَأَعْصِفَ بِهِ.

قَالَتِ الشَّمْسُ فِي هُدُوءٍ:

- أَيَّتُهَا الرِّيحُ.. أَنْتِ مَغْرُورَةٌ بِقُوَّتِكِ، لَكِنَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِنْكِ.

وَبَيْنَمَا هُمَا تَتَجَادَلَانِ مَرَّتْ سَحَابَةٌ كَبِيرَةٌ، فَقَالَتِ الشَّمْسُ:

- مَا رَأْيُكِ أَيَّتُهَا الرِّيحُ أَنْ نَحْتَكِمَ إِلَى هَذِهِ السَّحَابَةِ؟



فَكَّرَتِ الرِّيحُ قَلِيلًا وَقَالَتْ:

- لَا بَأْسَ.

نَظَرَتِ الشَّمْسُ إِلَى السَّحَابَةِ وَحَكَتْ لَهَا مَا يَتَرَاهَنَانِ عَلَيْهِ.

ابْتَسَمَتِ السَّحَابَةُ وَقَالَتْ:

- مَا رَأْيُكُمَا لَوْ تُجَرِّبُ كُلٌّ مِنْكُمَا قُدْرَتَهَا؟

وَأَشَارَتْ إِلَى الرِّيحِ أَنْ تَبْدَأَ.

رَأَتِ الرِّيحُ شَخْصًا قَادِمًا يَسِيرُ فِي سَعَادَةٍ، وَيَلْبَسُ مِعْطَفًا سَمِيكًا فَوْقَ مَلَابِسِهِ.

فَاجَأَتِ الرِّيحُ الرَّجُلَ وَهَبَّتْ عَلَيْهِ، فَشَدَّ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ عَلَى جِسْمِهِ وَأَغْلَقَ أَزْرَارَ الْمِعْطَفِ.

ثُمَّ حَاوَلَتِ الرِّيحُ أَنْ تَزِيدَ مِنْ قُوَّتِهَا، فَأَسْرَعَ الرَّجُلُ إِلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ وَوَقَفَ خَلْفَهَا مُنْكَمِشًا عَلَى نَفْسِهِ فِي مِعْطَفِهِ الثَّقِيلِ.

هُنَا تَوَقَّفَتِ الرِّيحُ تَمَامًا عَنْ مُحَاوَلَتِهَا، وَأَحَسَّتْ بِالْعَجْزِ وَالْخَسَارَةِ وَخَيْبَةِ الْأَمَلِ!!

طَلَبَتِ السَّحَابَةُ مِنَ الشَّمْسِ أَنْ تَبْدَأَ مُحَاوَلَتَهَا.

اقْتَرَبَتِ الشَّمْسُ مِنَ الرَّجُلِ فَأَحَسَّ بِالدِّفْءِ الْجَمِيلِ، فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ وَخَلَعَ مِعْطَفَهُ الثَّقِيلَ.

وَحِينَمَا تَوَهَّجَتِ الشَّمْسُ وَاشْتَدَّتْ حَرَارَتُهَا، خَلَعَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ وَأَسْرَعَ إِلَى الْبَحْرِ يَسْبَحُ فِي مَائِهِ الدَّافِئِ.

وَهُنَا.. قَالَتِ السَّحَابَةُ:

- لَقَدْ خَسِرَتِ الرِّيحُ وَفَازَتِ الشَّمْسُ.

سَمِعَتْ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ مَا قَالَتْهُ السَّحَابَةُ، فَأَسْرَعَتْ إِلَى الشَّاطِئِ بِقُوَّةٍ، وَكَأَنَّهَا تُصَفِّقُ لِلشَّمْسِ!



الْمُحْتَالُونَ

تَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةُ كَيْفَ يَمْلِكُ الْمُحْتَالُ أَسَـــالِيبَ الْخِدَاعِ حَتَّى يُقْنِعَ مَنْ يَحْتَالُ عَلَيْهِ بِمَا يُرِيدُ.

وَقِصَّتُنَا عَنْ رَجُلِ دِينٍ هِنْدِيٍّ زَاهِدٍ، لَدَيْهِ عَنْزَةٌ صَغِيرَةٌ اشْـــتَرَاهَا مِنْ إِحْدَى الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ.

حَمَلَ الرَّجُلُ الْعَنْزَةَ عَلَى كَتِفِهِ وَعَادَ بِهَا إِلَى قَرْيَتِهِ.

وَفِي الطَّرِيقِ شَاهَدَهُ بَعْضُ الْمُحْتَالِينَ، فَقَرَّرُوا أَنْ يَسْتَوْلُوا عَلَى هَذِهِ الْعَنْزَةِ، بِالْحِيلَةِ وَالدَّهَاءِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُقَسِّـــمُوا أَنْفُسَـــهُمْ إِلَى ثَلَاثِ جَمَاعَاتٍ، كُلُّ جَمَاعَةٍ تُخَادِعُهُ فِي مَوْضِعٍ مِنَ الطَّرِيقِ.

قَابَلَتْهُ الْجَمَاعَةُ الْأُولَى، فَأَخَذُوا يَضْحَكُونَ مِنْهُ وَيَسْخَرُونَ.

فَسَأَلَهُمْ:

- مَا الَّذِي يُضْحِكُكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ؟

قَالُوا:

- إِنَّكَ زَاهِدٌ، فَلِمَاذَا تَحْمِلُ هَذَا الْكَلْبَ عَـــلَى كَتِفِكَ؟! لَعَلَّكَ تَحْمِلُهُ لِكَيْ تَقْتُلَ بِهِ بَعْضَ الدَّوَابِّ!

انْدَهَشَ الرَّجُلُ، وَلَمْ يُلْقِ بَالًا لِمَا يَقُولُونَ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ:

- مَاذَا يَقْصِدُ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ؟؟ إِنَّنِي أَحْمِلُ عَنْزَةً، وَلَا أَحْمِلُ كَلْبًا!

وَوَاصَلَ الْمَسِيرَ!

وَبَعْدَ قَلِيلٍ قَابَلَتْهُ الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَةُ، وَأَخَذُوا يَضْحَكُونَ مِنْهُ وَيَسْخَرُونَ.

فَسَأَلَهُمْ:

- مَا الَّذِي يُضْحِكُكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ؟

قَالُوا:



ـ أَيُّهَا الزَّاهِدُ.. أَلَا تَسْتَحِي مِمَّا تَفْعَلُهُ؟! أَهَذَا الشَّيْءُ الَّذِي تَحْمِلُهُ هُوَ الْحَبْلُ الْمُقَدَّسُ، أَمِ الْمِسْبَحَةُ، أَمْ وِعَاءُ الْمَاءِ الْمُقَدَّسِ؟! أَتَكُونُ رَجُلَ دِينٍ وَتَحْمِلُ كَلْبًا نَجِسًا عَلَى كَتِفِكَ؟! إِنَّ هَذَا لَا يَلِيقُ بِكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ!! وَلَكِنْ يُمْكِنُ أَنْ نَلْمَسَ لَكَ الْعُذْرَ، فَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْكَلْبَ بَارِعٌ فِي قَتْلِ الْأَرَانِبِ وَالْغِزْلَانِ، وَلِهَذَا فَأَنْتَ تَحْمِلُهُ وَتَرْعَاهُ!

تَعَجَّبَ الرَّجُلُ، وَوَضَعَ الْعَنْزَةَ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ يَتَحَسَّسُهَا وَيَمُرُّ بِيَدِهِ عَلَى أُذُنَيْهَا وَقَرْنَيْهَا وَذَيْلِهَا، ثُمَّ قَالَ لِنَفْسِهِ:

ـ يَا لَلْحَمْقَى! كَيْفَ تَصَوَّرُوا أَنَّ هَذِهِ الْعَنْزَةَ كَلْبٌ؟! إِنَّهُمْ فِعْلًا عَدِيمُو الْبَصَرِ!

ثُمَّ حَمَلَ الرَّجُلُ الْعَنْزَةَ عَلَى كَتِفِهِ وَوَاصَلَ مَسِيرَهُ.

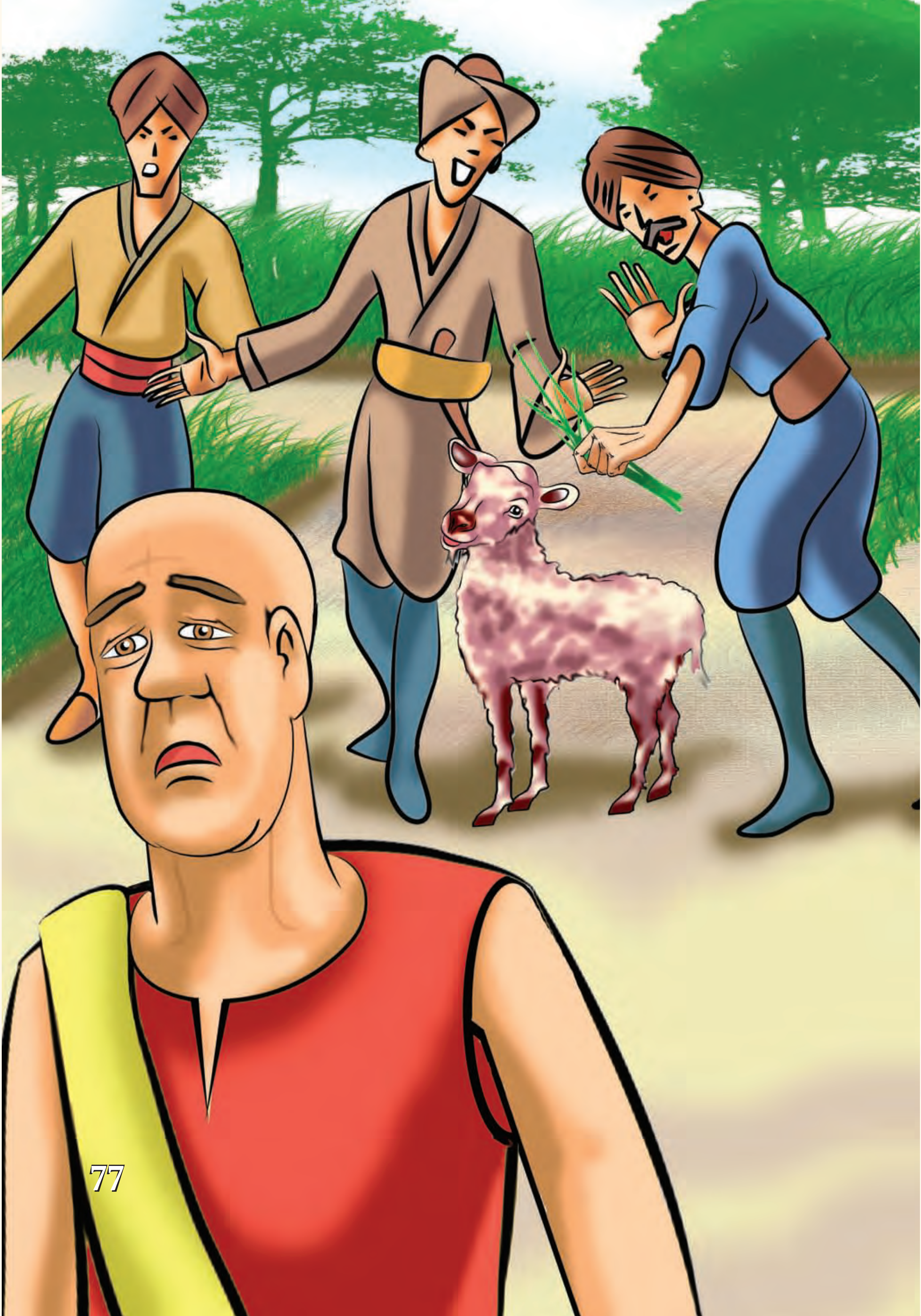
وَمَا كَادَ يَسِيرُ بِضْعَ خُطُوَاتٍ حَتَّى قَابَلَتْهُ الْمَجْمُوعَةُ الثَّالِثَةُ، فَصَاحُوا فِي وَجْهِهِ:

ـ إِيَّاكَ أَنْ تَلْمَسَنَا، تَنَحَّ عَنْ طَرِيقِنَا، فَأَنْتَ أَيُّهَا الزَّاهِدُ طَاهِرٌ فِي مَظْهَرِكَ الْخَارِجِيِّ فَحَسْبُ، لَكِنَّكَ تَحْمِلُ كَلْبًا نَجِسًا، وَلَابُدَّ أَنَّكَ صَيَّادٌ مَاهِرٌ تَسْتَخْدِمُ الْكَلْبَ فِي صَيْدِكَ!

ثُمَّ تَنَحَّى الْمُحْتَالُونَ جَانِبًا حِينَمَا تَوَقَّفَ الزَّاهِدُ مُنْدَهِشًا، وَأَنْزَلَ الْعَنْزَةَ مِنْ فَوْقِ كَتِفِهِ، وَأَخَذَ يَتَحَسَّسُهَا مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ قَالَ:

ـ مَا هَذَا الَّذِي يَحْدُثُ؟! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَسْمَعُ أَنَّ مَا أَحْمِلُهُ كَلْبٌ!! تُرَى هَلْ فَقَدْتُ حَوَاسِّي؟! لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا عَلَى حَقٍّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أُمُورًا غَيْرَ طَبِيعِيَّةٍ تَحْدُثُ فِي هَذَا الْعَالَمِ؛ مَنْ يَدْرِي لَعَلَّ هَذِهِ الْعَنْزَةَ فِي نَظَرِي عَنْزَةٌ وَدِيعَةٌ، وَلَدَى النَّاسِ غُولٌ فِي صُورَةِ كَلْبٍ؟! نَعَمْ.. نَعَمْ.. يَسْتَطِيعُ الْغُولُ أَنْ يَتَشَكَّلَ فِي صُورَةِ كَلْبٍ.

ثُمَّ أَطْلَقَ الزَّاهِدُ الْعَنْزَةَ، وَانْصَرَفَ يَغْتَسِلُ وَيَتَطَهَّرُ!! فَأَسْرَعَ الْمُحْتَالُونَ إِلَى الْعَنْزَةِ وَأَخَذُوهَا وَذَبَحُوهَا وَأَكَلُوهَا.



الْحَكِيمُ الْهِنْدِيُّ وَالْأُمُّ الصَّغِيرَةُ

كَانَ حَكِيمٌ هِنْدِيٌّ يَجْلِسُ فِي ظِلِّ شَـجَرَةِ مَوْزٍ حِينَمَـا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ تَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا، وَتَحْمِلُ وَلِيدَهَا الصَّغِيرَ الَّذِي فَارَقَ الْحَيَاةَ!

قَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَكِيمِ:

- إِنَّهُ وَلَدِي الْوَحِيدُ، وَقَدْ مَاتَ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَرُدَّ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ مِنْ جَدِيدٍ!

هَزَّ الْحَكِيمُ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، لَكِنَّ الْمَرْأَةَ اشْتَدَّ بُكَاؤُهَا وَنَشِيجُهَا مُرَدِّدَةً:

- أَرْجُوكَ يَا سَيِّدِي.. أَعِدْ لِي حَيَاةَ وَلَدِي!! إِنَّهُ وَلَدِي الْوَحِيدُ!

أَدْرَكَ الْحَكِيمُ أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ إِقْنَاعُهَا بِشَيْءٍ وَهِيَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الْحُزْنِ، فَقَالَ لَهَا:

- اتْرُكِي وَلَـدَكِ بِجَانِبِي، وَاذْهَبِي إِلَى أَيِّ بَيْتٍ، وَاطْلُبِي مِـنْ أَهْلِهِ أَنْ يَمْنَحُوكِ نِصْفَ كُوبٍ مِنَ السِّمْسِمِ؛ لِأَرُشَّهُ عَلَى طِفْلِكِ فَيَصِيرَ حَيًّا!!

قَالَتِ الْمَرْأَةُ:

- أَيَّ بَيْتٍ يَا سَيِّدِي؟

قَالَ الْحَكِيمُ:

- بِشَرْطِ أَلَّا يَكُونَ هَذَا الْبَيْتُ قَدْ فَقَدَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ.

انْطَلَقَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تَظُنُّ أَنَّ الْأَمْرَ بَسِـيطٌ وَهَيِّنٌ، وَدَخَلَتِ الْقَرْيَةَ الْقَرِيبَةَ، وَطَرَقَتْ بَابَ أَوَّلِ بَيْتٍ رَأَتْهُ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهَا صَاحِبَةُ الْبَيْتِ وَسَأَلَتْهَا:

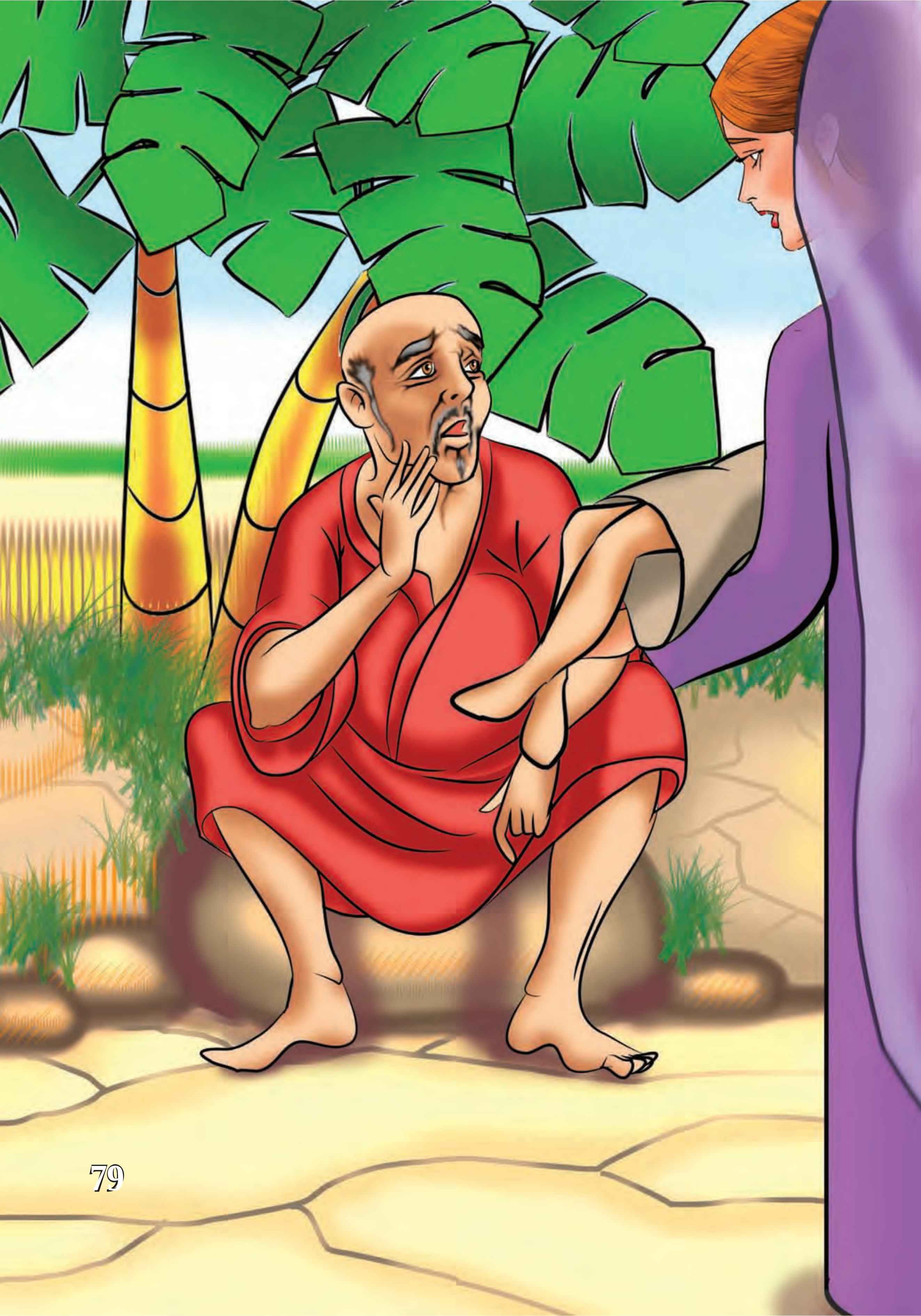
- أَيَّةَ خِدْمَةٍ يَا سَيِّدَتِي؟

قَالَتِ الْمَرْأَةُ:

- هَلَّا تَفَضَّلْتِ بِإِعْطَائِي نِصْفَ كُوبٍ مِنَ السِّمْسِمِ؟

أَجَابَتْ صَاحِبَةُ الْبَيْتِ:

- بِكُلِّ سُرُورٍ يَا سَيِّدَتِي!



وَفِي لَحَظَاتٍ أَحْضَرَتْ لَهَا السِّمْسِمَ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تَهُمُّ بِالِانْصِرَافِ:

ـ أَرْجُو أَلَّا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِكِ قَدْ مَاتَ.

وَهُنَا أَصَابَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ قَلْبَ صَاحِبَةِ الْبَيْتِ الْمُوجَعَ، وَقَالَتْ:

ـ سَامَحَكِ اللَّهُ! لِمَ تُذَكِّرِينَنِي بِجِرَاحِي الَّتِي لَمْ تَنْدَمِلْ؛ لَقَدْ فَقَدْتُ أَخِي الْوَحِيدَ مُنْذُ شَهْرٍ، وَمِنْ قَبْلُ فَقَدْتُ أَبِي مُنْذُ عَامٍ!

قَالَتِ الْمَرْأَةُ:

ـ أَنَا آسِفَةٌ يَا سَيِّدَتِي، وَأَعْتَذِرُ، خُذِي سِمْسِمَكِ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِ!

وَتَرَكَتْهَا وَطَرَقَتْ بَابَ بَيْتٍ آخَرَ، فَخَرَجَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مُسِنَّةٌ، فَسَأَلَتْهَا أَنْ تَمْنَحَهَا السِّمْسِمَ، فَأَحْضَرَتْهُ لَهَا، فَقَالَتْ:

ـ أَتَمَنَّى يَا سَيِّدَتِي أَلَّا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِكِ قَدْ مَاتَ!

لَمْ تَكَدِ السَّيِّدَةُ الْمُسِنَّةُ تَسْمَعُ ذَلِكَ حَتَّى انْفَجَرَتْ بِالْبُكَاءِ، وَقَالَتْ:

ـ ابْنِي.. ابْنِي الْوَحِيدُ، ابْنِي الَّذِي رَعَيْتُهُ عِشْرِينَ عَامًا قَدْ مَاتَ مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ!! فَلِمَاذَا تُذَكِّرِينَنِي بِهِ وَتُسَبِّبِينَ لِيَ الشَّقَاءَ؟!

أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ:

ـ أَنَا آسِفَةٌ جِدًّا وَأَعْتَذِرُ، خُذِي سِمْسِمَكِ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِ!

وَانْصَرَفَتْ إِلَى بَيْتٍ ثَالِثٍ، فَاسْتَقْبَلَتْهَا أَرْمَلَةٌ فِي السِّتِّينَ، فَقَالَتْ لَهَا:

ـ أَعْطِينِي يَا أُمَّاهُ نِصْفَ كُوبٍ مِنَ السِّمْسِمِ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ مَاتَ مِنْ أَهْلِكِ أَحَدٌ.

تَبَسَّمَتِ الْعَجُوزُ وَقَالَتْ:

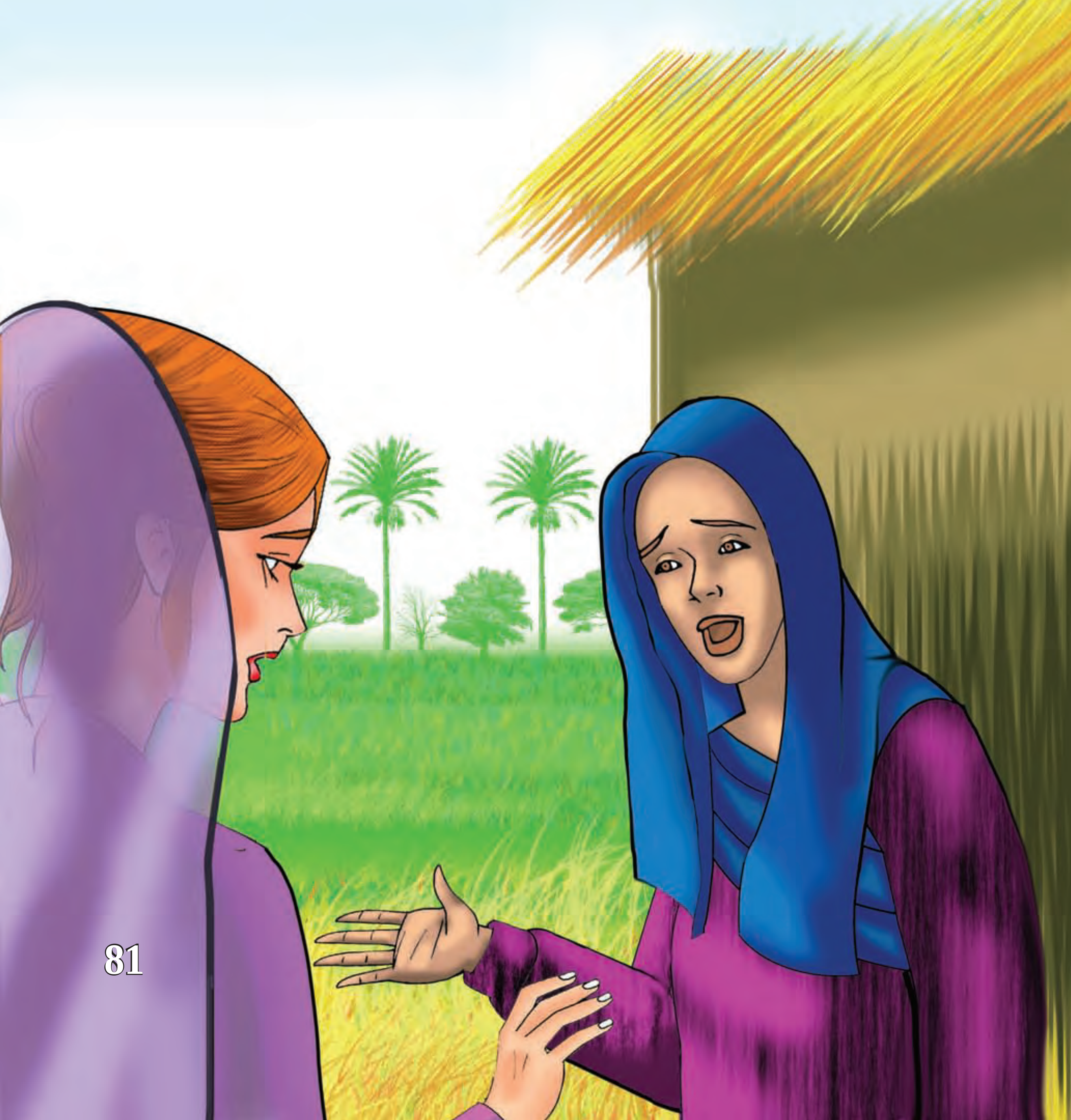
ـ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْنَحَكِ عَشَرَةَ أَكْوَابٍ مِنَ السِّمْسِمِ إِنْ شِئْتِ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِي قَدْ مَاتُوا؛ مَاتَ زَوْجِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ عَامًا، فَأَحْسَسْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ بَعْدَهُ لَنْ تَدُومَ، وَلَكِنِّي فَكَّرْتُ فِي الْأَمْرِ تَفْكِيرًا آخَرَ، فَلَوْ كَانَ النَّاسُ خَالِدِينَ بِلَا مَوْتٍ، فَأَيْنَ تَجِدُ الْأَجْيَالُ الْجَدِيدَةُ نَصِيبَهَا مِنَ الْحَيَاةِ؟!

أَيْنَ أَبُوكِ، وَجَدُّكِ، وَجَدُّ جَدِّكِ، وَجَدُّ أُمِّكِ؟ لَقَدْ مَاتُوا جَمِيعًا، وَهَا أَنْتِ تَعِيشِينَ!

فَإِنَّ الْمَوْتَ يَا ابْنَتِي هُوَ الْأَمْرُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَتَوَقَّعُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ.

هُنَا فَطِنَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهَا تَبْحَثُ عَنِ الْمُسْتَحِيلِ، وَعَادَتْ إِلَى الْحَكِيمِ وَحَكَتْ لَهُ مَا حَدَثَ لَهَا.. فَقَالَ لَهَا:

- اذْهَبِي يَا ابْنَتِي وَادْفِنِي صَغِيرَكِ، وَاطْلُبِي مِنَ اللَّهِ أَنْ يَمْنَحَكِ خَيْرًا مِنْهُ، ذَلِكَ هُوَ شَأْنُ الْحَيَاةِ، وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْجُوَ مِنَ الْمَوْتِ.



الْأَسَدُ الَّذِي حَرَّرَ عَبْدًا

دَارَتْ أَحْدَاثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي أَثِينَا الْقَدِيمَةِ، بَطَلُهَا عَبْدٌ كَانَ يَعْمَلُ لَيْلَ نَهَارٍ بِلَا تَوَقُّفٍ فِي مَزْرَعَةِ أَحَدِ السَّادَةِ، وَكَانَ سَيِّدُهُ رَجُلًا قَاسِيًا ظَالِمًا يُعَامِلُهُ مُعَامَلَةً وَحْشِيَّةً، إِذَا قَصَّرَ فِي عَمَلِهِ وَلَوْ لِبَعْضِ الْوَقْتِ.

جَاءَهُ سَيِّدُهُ فِي صَبَاحِ يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ وَقَالَ لَهُ:

- عَلَيْكَ الْيَوْمَ حَرْثُ الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تَحْرُثْهَا الثِّيرَانُ بِالْأَمْسِ، إِنَّهَا أَرْضٌ صَخْرِيَّةٌ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُضَحِّيَ بِثِيرَانِي فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْوَعْرَةِ. سَتَكُونُ أَنْتَ الثَّوْرَ، تُعَلِّقُ فِي عُنُقِكَ الْمِحْرَاثَ وَتَسْحَبُهُ بِنَفْسِكَ، اذْهَبْ!!

وَكَانَ يَوْمًا شَدِيدَ الْحَرَارَةِ، وَالْأَرْضُ صَخْرِيَّةٌ مُغَطَّاةٌ بِالْأَعْشَابِ الشَّوْكِيَّةِ. لَكِنْ.. لَابُدَّ لِلْعَبْدِ أَنْ يُنَفِّذَ أَوَامِرَ سَيِّدِهِ مَهْمَا كَانَتْ، فَحَاوَلَ الْعَبْدُ وَحَاوَلَ.. لَكِنَّهُ لَمْ يُحْرِزْ غَيْرَ تَقَدُّمٍ ضَئِيلٍ، وَعِنْدَ الظُّهْرِ كَانَتِ الْحَرَارَةُ فِي ذُرْوَتِهَا، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ:

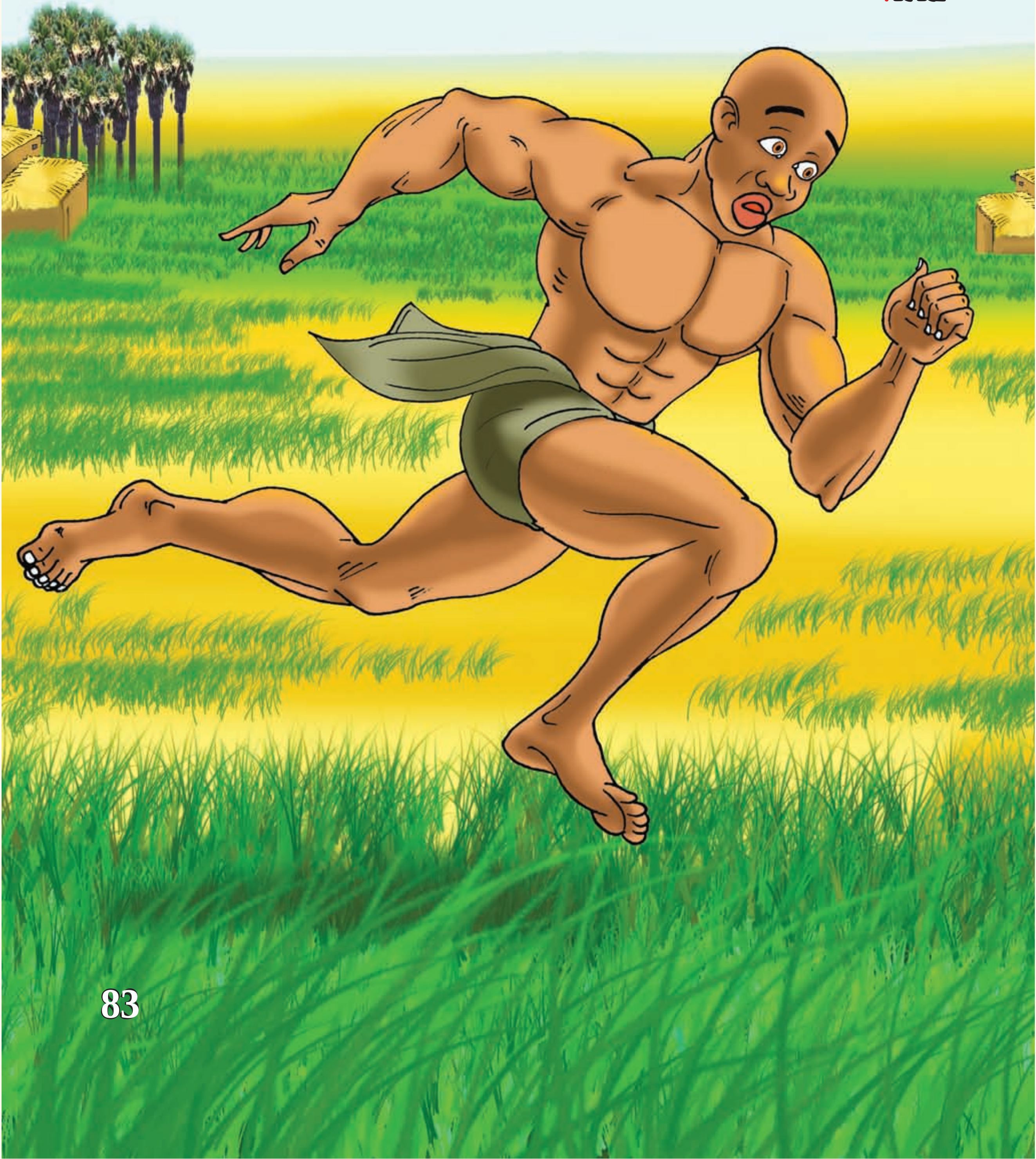
- تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَرِيحَ الْآنَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ، وَسَأَتَنَاوَلُ أَنَا طَعَامِي فِي ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَحَذَارِ أَنْ تُقَصِّرَ فِي عَمَلِكَ فَتَنْدَمَ عَلَى ذَلِكَ!!

انْتَحَى الْعَبْدُ بَعِيدًا لِيَسْتَرِيحَ، وَذَهَبَ السَّيِّدُ لِيَتَنَاوَلَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَى مِنْ طَعَامِهِ أَطْبَقَ عَيْنَيْهِ وَرَاحَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ.

نَظَرَ الْعَبْدُ إِلَى سَيِّدِهِ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ يَغُطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، فَلَمَعَ فِي رَأْسِهِ حُلْمُ التَّمَرُّدِ، فَنَزَعَ الطَّوْقَ عَنْ عُنُقِهِ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ فِي كِبْرِيَاء، وَنَظَرَ إِلَى الْفَضَاءِ الْمُتَّسِعِ أَمَامَهُ، وَبِلَا تَفْكِيرٍ بَدَأَ يَجْرِي فَوْقَ الْحُقُولِ الْمُمْتَدَّةِ، وَقَفَزَ فَوْقَ الْأَسْوَارِ، وَاخْتَرَقَ الْغَابَاتِ الْكَثِيفَةَ، وَقَلْبُهُ يَدُقُّ بِعُنْفٍ غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا يَحْدُثُ لَهُ مِنْ جِرَاحٍ وَآلَامٍ. وَفَجْأَةً وَجَدَ نَفْسَهُ يَسْقُطُ أَمَامَ كَهْفٍ بَارِدٍ مُعْتِمٍ، وَفَكَّرَ فِي أَنْ يَزْحَفَ حَتَّى يَدْخُلَ هَذَا الْكَهْفَ، وَحِينَمَا دَخَلَهُ اسْتَسْلَمَ لِلنَّوْمِ الْعَمِيقِ.

حِينَمَا صَحَا الْعَبْدُ مِنْ نَوْمِهِ أَخَذَ يَتَطَلَّعُ حَوْلَهُ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ هُوَ!!

لَكِنَّهُ شَــمَّ رَائِحَةً عَجِيبَةً، قَدْ تَكُونُ رَائِحَةَ أَحَدِ الْحَيَوَانَاتِ، وَقَدْ كَانَتْ ظُلْمَةُ الْكَهْفِ تَجْعَلُهُ لَا يَرَى شَيْئًا، لَكِنَّ نُورًا خَافِتًا كَانَ يَتَسَرَّبُ إِلَى دَاخِلِ الْكَهْفِ مِنْ فُتْحَةٍ صَغِيرَةٍ، وَأَحَسَّ كَأَنَّ شَــبَحًا ضَخْمًا مَرَّ عَلَى هَذَا الشُّعَاعِ فَجْأَةً فَأَخْفَاهُ تَمَامًا!



اقْتَرَبَ الْعَبْدُ مِنْ هَذِهِ الْفُتْحَةِ، وَنَظَرَ مِنْهَا فَرَأَى جَسَدًا كَبِيرًا، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ أَسَدٌ ضَخْمٌ حِينَمَا أَطْلَقَ زَئِيرَهُ.

حَاوَلَ الْعَبْدُ أَنْ يَخْتَبِئَ مِنَ الْأَسَدِ، لَكِنَّهُ أَحَسَّ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ لَا يَكُونُ آمِنًا، فَاقْتَرَبَ بِهُدُوءٍ مِنَ الْأَسَدِ، وَأَخَذَ يُرَبِّتُ جَسَدَهُ، وَسَأَلَهُ بِإِشْفَاقٍ شَدِيدٍ:

- هَلْ أَنْتَ جَائِعٌ؟

تَأَوَّهَ الْأَسَدُ وَكَأَنَّهُ يَتَأَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ يَشْعُرُ بِهِ. فَهِمَ الْعَبْدُ أَنَّ الْأَسَدَ يَشْكُو مِنْ أَلَمٍ فِي جَسَدِهِ، فَأَخَذَ يَمُرُّ عَلَى جَسَدِهِ بِيَدِهِ حَتَّى وَجَدَ شَوْكَةً مَغْرُوسَةً فِي سَاقِهِ الْيُمْنَى، وَهُنَا صَاحَ الْعَبْدُ:

- حَسَنًا يَا صَدِيقِي إِنَّهَا الشَّوْكَةُ، لَا تَخَفْ سَأَنْزِعُهَا مِنْ سَاقِكَ.

وَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَ يَشُدُّ الشَّوْكَةَ حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يُخْرِجَهَا بَعْدَ جُهْدٍ كَبِيرٍ.

وَهُنَا زَأَرَ الْأَسَدُ بِعُنْفٍ وَغَضَبٍ، فَقَالَ الْعَبْدُ:

- أَهَكَذَا تَزْأَرُ فِي وَجْهِ الطَّبِيبِ الَّذِي مَنَعَ عَنْكَ الْأَلَمَ؟

تَرَكَ الْعَبْدُ الْأَسَدَ وَانْتَحَى جَانِبًا يَنْظُرُ إِلَى الْأَسَدِ وَكَأَنَّهُ يُعَاتِبُهُ!! فَاقْتَرَبَ الْأَسَدُ فِي هُدُوءٍ مِنَ الْعَبْدِ وَأَخَذَ يَلْعَقُ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَكَأَنَّهُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ!

ثُمَّ جَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ.

بَدَأَتْ صَدَاقَةٌ قَوِيَّةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْأَسَدِ، وَبَدَآ يَسِيرَانِ مَعًا يَبْحَثَانِ عَنِ الصَّيْدِ، وَيَنَامَانِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. وَجَاءَ يَوْمٌ فَكَّرَ الْعَبْدُ فِيهِ أَنْ يَتَجَوَّلَ وَحِيدًا فِي الْغَابَةِ؛ لِيَأْكُلَ بَعْضَ الْفَوَاكِهِ الطَّازَجَةِ، وَبَعْدَ أَنِ ابْتَعَدَ قَلِيلًا سَمِعَ أَصْوَاتًا لِرِجَالٍ مُسَلَّحِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ الْعَبِيدِ الْهَارِبِينَ.

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى قَبَضُوا عَلَيْهِ بِلَا أَدْنَى مُقَاوَمَةٍ. وَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى أَخْذِ الْعَبْدِ وَعَرْضِهِ أَمَامَ الْجُمْهُورِ وَهُوَ يُصَارِعُ الْأُسُودَ وَالثِّيرَانَ.

مَضَى وَقْتٌ طَوِيلٌ وَالْعَبْدُ فِي مَحْبِسِهِ مَعَ عَدَدٍ آخَرَ مِنَ الْعَبِيدِ الْهَارِبِينَ يُعِدُّونَهُمْ لِلْعَرْضِ الْمُنْتَظَرِ، وَبَعْدَ مُضِيِّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ حَانَ وَقْتُ الْعَرْضِ، حَيْثُ كَانَتِ السَّاحَةُ مُحْتَشِدَةً بِالْمُتَفَرِّجِينَ، وَقَدْ أَقْبَلَ الْمَلِكُ وَحَاشِيَتُهُ لِيُشَاهِدُوا هَذَا الْعَرْضَ السَّنَوِيَّ الْمُمْتِعَ.



كَانَ الْعَبْدُ أَوَّلَ مَنْ قُذِفَ بِهِ فِي الْمَلْعَبِ الْكَبِيرِ، وَفِي يَدِهِ عَصًا صَغِيرَةٌ!!

ثُمَّ رَأَى الْعَبْدُ أَسَدًا يَنْطَلِقُ نَحْوَهُ بِشَرَاسَةٍ، وَحِينَمَا اقْتَرَبَ مِنْهُ وَقَفَ الْأَسَدُ فَجْأَةً!! وَبَدَأَ صَوْتُ الْجُمْهُورِ الصَّاخِبُ يَخِفُّ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى سَادَ صَمْتٌ عَمِيقٌ!! وَفِي لَحَظَاتٍ، اقْتَرَبَ الْأَسَدُ مِنَ الْعَبْدِ وَأَخَذَ يَتَمَسَّحُ بِقَدَمَيْهِ!! وَحَدَّقَ الْعَبْدُ فِي الْأَسَدِ وَلَمْ يُصَدِّقْ عَيْنَيْهِ؛ لَقَدْ كَانَ أَمَامَهُ الْأَسَدُ صَدِيقُهُ الْمُخْلِصُ الَّذِي تَرَكَهُ فِي الْغَابَةِ، فَمَدَّ الْعَبْدُ يَدَهُ يُرَبِّتُ جِسْمَ الْأَسَدِ وَيُعَانِقُهُ.

بَدَأَ صَوْتُ النَّاسِ يَرْتَفِعُ فِي دَهْشَةٍ وَإِعْجَابٍ وَصُرَاخٍ، وَأَخَذُوا يُصْدِرُونَ إِشَارَاتٍ مَعْرُوفَةً تُطَالِبُ بِالْإِبْقَاءِ عَلَى حَيَاةِ الْعَبْدِ.

وَقَفَ الْمَلِكُ فِي مَكَانِهِ وَنَادَى الْعَبْدَ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ هُوَ وَالْأَسَدُ، وَدَارَ بَيْنَهُمَا الْحِوَارُ الْآتِي:

- إِنَّ النَّاسَ يَطْلُبُونَ مِنِّي أَنْ أُبْقِيَ عَلَى حَيَاتِكَ؛ فَمَا حَدَثَ الْآنَ يُعَدُّ مُعْجِزَةً.
- شُكْرًا لَكَ يَا مَوْلَايَ.
- سَتَكُونُ مِنَ الْيَوْمِ رَئِيسًا لِحَرَسِ الْحَيَوَانَاتِ فِي قَصْرِي.
- مَعْذِرَةً يَا مَوْلَايَ، فَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُومَ بِهَذَا الْعَمَلِ؛ إِنَّنِي أَخَافُ الْحَيَوَانَاتِ!

ابْتَسَمَ الْمَلِكُ مُنْدَهِشًا:

- إِذَنْ كَيْفَ سَيْطَرْتَ هَكَذَا عَلَى هَذَا الْوَحْشِ الْجَائِعِ؟!
- إِنَّهُ صَدِيقِي يَا مَوْلَايَ!
- حَسَنًا.. يُمْكِنُكَ إِذَنْ أَنْ تُمَارِسَ مِهْنَةَ الطَّبِيبِ الْبَيْطَرِيِّ فِي قَصْرِي.
- أَشْكُرُكَ مَرَّةً أُخْرَى يَا مَوْلَايَ، لَكِنَّ هُنَاكَ أُمْنِيَّةً أُرِيدُ أَنْ تُحَقِّقَهَا لِي، أُرِيدُ الْعَوْدَةَ إِلَى الْغَابَةِ وَمَعِي صَدِيقِي الْأَسَدُ!

صَفَّقَ الْجُمْهُورُ حِينَمَا سَمِعُوا هَذِهِ الْأُمْنِيَّةَ الْغَرِيبَةَ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِ، وَقَالَ:

- اذْهَبْ مَعَ صَدِيقِكَ فِي أَمَانٍ، لَقَدْ كَانَتِ الْآلِهَةُ رَحِيمَةً بِكَ، فَكَيْفَ لَا أَكُونُ رَحِيمًا بِكَ؟!



مِلْحٌ وَبَرَكَةٌ

يُحْكَى أَنَّهُ كَانَ فِي مَدِينَةِ «عَدَنٍ» رَجُلٌ صَالِحٌ يَعْمَلُ فِي صِنَاعَةِ السِّـــلَالِ.. وَيَلْزَمُ مَسْجِدًا يَذْهَبُ إِلَيْهِ دَائِمًا؛ لِيُؤَدِّيَ الصَّلَاةَ فِي مَوَاعِيدِهَا.

وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْنَاءٍ يَعِيشُونَ مِثْلَهُ عِيشَةَ الْفُقَرَاءِ.

وَجَـــاءَهُ يَوْمًا صَدِيقٌ يَعْمَلُ عَلَى مَرْكَبٍ فِي الْبَحْرِ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى الْقِيَامِ بِرِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ، فَسَأَلَهُ: أَلَا تُرِيدُ أَيَّ شَيْءٍ فَأُؤَدِّيَهُ إِلَيْكَ فِي سَفَرِي؟

وَهُنَا قَدَّمَ لَهُ الرَّجُلُ الْفَقِيرُ جَرَّةً خَضْرَاءَ مِنَ الْخَزَفِ، وَوَضَعَ بِهَا بَعْضَ الْمِلْحِ الْمَجْرُوشِ وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ: هَذِهِ بِضَاعَتِي اجْعَلْهَا مَعَكَ، وَبِعْهَا لِحِسَابِي.

قَالَ الْبَحَّارُ: وَمَاذَا أُحْضِرُ لَكَ؟

قَالَ الْفَقِيرُ: أَحْضِرْ لِي بَرَكَةً كَمَا يَقُولُ النَّاسُ!

وَأَبْحَرَ الْمَرْكَبُ وَوَصَلَ إِلَى مَدِينَةٍ فِي جَنُوبِ آسْـــيَا، وَبَاعَ الْبَحَّارُ مَا مَعَهُ مِنْ بِضَاعَةٍ، وَنَسِـــيَ جَرَّةَ صَدِيقِهِ الْفَقِيرِ. وَجَاءَ وَقْتُ الرَّحِيـــلِ، فَإِذَا بِرَجُلٍ يَجُرُّ سَمَكَةً كَبِيرَةً فِي حَبْلٍ وَيُنَادِي: مَنْ يَشْتَرِي بَرَكَةً.. مَنْ يَشْتَرِي بَرَكَةً؟

فَلَمَّا سَـــمِعَ الْبَحَّارُ ذَلِكَ تَذَكَّرَ جَرَّةَ صَدِيقِهِ الْفَقِيرِ، فَدَعَا صَاحِبَ السَّمَكَةِ وَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: هَذَا نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ يُسَمِّيهِ الصَّيَّادُونَ «بَرَكَةً».

فَقَالَ الْبَحَّارُ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ صَدِيقِي أَرَادَ هَذِهِ السَّمَكَةَ بِعَيْنِهَا.

وَاشْتَرَى الْبَحَّارُ سَـــمَكَةَ «الْبَرَكَةِ»، ثُمَّ حَمَلَ السَّمَكَةَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يُقِيمُ فِيهِ حَتَّى يُبْحِرَ، وَوَضَعَ الرَّجُلُ السَّمَكَةَ فِي الْمِلْحِ الْمَجْرُوشِ، وَبَيْنَمَا هُوَ يُخْرِجُ مَا فِي جَوْفِهَا وَجَدَ صَدَفَةً فَشَقَّهَا، فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً ثَمِينَةً.

قَالَ الْبَحَّارُ: هَذَا رِزْقُ اللَّهِ لِصَدِيقِي الْفَقِيرِ.

وَمَلَّحَ الرَّجُلُ السَّـــمَكَةَ، وَحَفِظَ الدُّرَّةَ الثَّمِينَةَ، وَأَبْحَرَ فِي الْيَوْمِ التَّالِي عَائِدًا إِلَى دِيَارِهِ.

وَلَمَّا الْتَقَى بِصَدِيقِهِ الْفَقِيرِ، أَعْطَاهُ الدُّرَّةَ الثَّمِينَةَ.


ثُـــمَّ إِنَّ الرَّجُلَ مَـــاتَ وَوَرِثَهَا
وَلَدُهُ الْأَصْغَرُ، وَخَرَجَ إِلَى الْخَلِيفَةِ
فِي بَغْدَادَ وَبَاعَهَا لَهُ بِمِئَةِ أَلْفِ
دِرْهَمٍ!!

سِبَاقُ الْمَارَاثُونِ

كَانَ الْمَلِكُ الْفَارِسِيُّ «دَارْيُوس الْأَوَّلُ» قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى مِصْرَ وَحَفَرَ قَنَاةً تَصِلُ النِّيلَ بِالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، ثُمَّ زَحَفَ إِلَى الْهِنْدِ وَأَسَّسَ مُسْتَعْمَرَاتٍ قَوِيَّةً بِهَا.

أَرْسَلَ «دَارْيُوس الْأَوَّلُ» إِلَى الْمُقَاطَعَاتِ الْيُونَانِيَّةِ يُطَالِبُهُمْ بِدَفْعِ ضَرِيبَةِ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ، فَرَفَضَتْ ذَلِكَ بَعْضُ الْمُقَاطَعَاتِ، وَعَامَلُوا رُسُلَ الْمَلِكِ مُعَامَلَةً سَيِّئَةً.

وَصَمَّمَ «دَارْيُوس» عَلَى الِانْتِقَامِ، فَأَرْسَلَ جَيْشًا كَبِيرًا إِلَى الْيُونَانِ، وَأَمَرَ قَائِدَهُ بِأَنْ يَسُوقَ الْيُونَانِيِّينَ عَبِيدًا بَيْنَ يَدَيْهِ!

لَكِنَّ أَهْلَ الْيُونَانِ أَدْرَكُوا مَقْصِدَ الْفُرْسِ، فَاحْتَلُّوا الْمَضَايِقَ الَّتِي تَمْتَدُّ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ إِلَى أَثِينَا.

لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْفُرْسِ سِوَى وَادٍ ضَيِّقٍ.. لَوْ سَارُوا فِيهِ لَقُضِيَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا؛ لِذَا قَرَّرَ «دَارْيُوس» أَنْ يَسْحَبَ قُوَّاتِهِ.

وَاسْتَطَاعَ الْيُونَانِيُّونَ أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْ ذَلِكَ، فَأَخَذُوا يُهَاجِمُونَ الْفُرْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَجْبَرُوهُمْ عَلَى التَّقَهْقُرِ بَعْدَ أَنْ خَسِرُوا أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ فَارِسِيٍّ، عَلَى حِينِ فَقَدَ الْيُونَانِيُّونَ مِئَتَيْ فَارِسٍ فَقَطْ!

اسْتَدْعَى الْقَائِدُ الْيُونَانِيُّ جُنْدِيًّا مُخْلِصًا، وَكَانَ يَعْرِفُ مَهَارَتَهُ فِي الْجَرْيِ، وَقَالَ لَهُ:

- أُرِيدُكَ أَنْ تُسْرِعَ إِلَى أَثِينَا بِأَسْرَعِ مَا تَسْتَطِيعُ، وَتُخْبِرَهُمْ بِنَبَإِ انْتِصَارَاتِنَا عَلَى الْفُرْسِ، لَكِنْ لَيْسَ لَدَيْنَا حِصَانٌ لَكَ!! بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ عَلَى قَدَمَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُنْذِرَهُمْ كَذَلِكَ أَنَّ «دَارْيُوس» الْفَارِسِيَّ مَا زَالَتْ لَدَيْهِ سُفُنٌ، وَعَلَى الْمَدِينَةِ أَنْ تَتَهَيَّأَ وَتَأْخُذَ حِذْرَهَا.



كَانَ بَيْنَ مَيْدَانِ الْقِتَالِ وَأَثِينَا مَسَــافَةٌ كَبِيرَةٌ، لَكِنَّ الْجُنْدِيَّ لَمْ يَتَرَدَّدْ، بَلْ بَدَأَ يَجْرِي وَيَجْرِي، وَيُسْــرِعُ فِي جَرْيِهِ، وَيَصْعَدُ التِّلَالَ، وَيَعْبُرُ الْبُحَيْرَاتِ، وَيَطْوِي السُّهُولَ وَالْقِفَارَ.

كُلُّ ذَلِكَ وَدَقَّاتُ قَلْبِهِ تَزْدَادُ لَحْظَةً بَعْدَ لَحْظَةٍ، وَتُنْذِرُ بِالْخَطَرِ، تُرَى هَلْ يَتَوَقَّفُ وَيَسْتَرِيحُ؟!

لَا.. فَرُبَّمَا اسْتَطَاعَ الْعَدُوُّ فِي هَذِهِ اللَّحَظَاتِ بِالذَّاتِ أَنْ يُهَاجِمَ أَثِينَا بَحْرًا!!

لَمْ يَتَوَقَّفِ الْجُنْدِيُّ الْأَمِينُ، لَكِنَّهُ صَمَّمَ عَلَى الْوُصُولِ بِأَسْرَعِ مَا يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ وَإِرَادَةٍ.

وَمَا كَادَ يَصِلُ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى تَلَقَّتْهُ الْأَذْرُعُ وَالصُّدُورُ وَمَنَعَتْهُ مِنَ السُّقُوطِ.

وَهُنَا صَاحَ وَهُوَ يَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ:

ـ افْرَحُوا.. النَّصْرُ لَنَا.

افْرَحُوا.. لَكِنْ خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ.

هَتَفَ النَّاسُ فَرَحًا وَابْتِهَاجًا.

لَكِنَّ الْجُنْدِيَّ الْبَطَلَ كَانَ قَدْ مَاتَ بَيْنَ أَذْرُعِهِمْ بَعْدَ هَذَا الْجُهْدِ الْكَبِيرِ.

وَمُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِين سَــنَةٍ كَرَّمَ الْعَالَمُ هَذَا الْجُنْدِيَّ «فِيدِيبِيدِس»؛ فَفِي عَامِ 1896م أُقِيمَ أَوَّلُ سِبَاقٍ عَصْرِيٍّ لِلْمَسَافَاتِ الطَّوِيلَةِ لِسِبَاقِ الْمَارَاثُونِ؛ إِحْيَاءً لِلْأَلْعَابِ الْأُولِيمْبِيَّةِ فِي أَثِينَا.

وَفِي هَذَا السِّــبَاقِ شَارَكَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الرِّيَاضِيِّينَ مِنْ جَمِيعِ شُعُوبِ الْعَالَمِ، وَكَانَتْ مُصَادَفَةً سَــعِيدَةً حِينَمَا أُعْلِنَ أَنَّ الْفَائِزَ الْأَوَّلَ فِي سِبَاقِ الْمَارَاثُونِ عَدَّاءٌ مِنَ الْيُونَانِ!



الرَّسَّامَانِ

عَاشَ فِي عَامِ 420 ق.م رَسَّامَانِ إِغْرِيقِيَّانِ، أَحَدُهُمَا يُسَمَّى «بَارَاسْيُوس»، وَالْآخَرُ «زُيُوكْسِيس».

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ الصَّدَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا مُتَنَافِسَيْنِ مُنَافَسَةً شَدِيدَةً فِي فَنِّ الرَّسْمِ؛ حَيْثُ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَدَّعِي أَنَّهُ يَفُوقُ صَاحِبَهُ بِمَهَارَتِهِ وَفَنِّهِ.

كَانَ «بَارَاسْيُوس» يَعْتَقِدُ أَنَّ الطَّبِيعَةَ تَتَفَوَّقُ عَلَى الْفَنِّ، فِي حِينِ كَانَ «زُيُوكْسِيس» يَعْتَقِدُ خِلَافَ ذَلِكَ.. أَنَّ الْفَنَّ أَرْوَعُ مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَظَلَّ كُلٌّ مِنْهُمَا يَتَمَسَّكُ بِرَأْيِهِ، وَكَادَتِ الصَّدَاقَةُ بَيْنَهُمَا تَتَحَوَّلُ إِلَى عَدَاءٍ!

اسْتَدْعَى «زُيُوكْسِيس» صَاحِبَهُ «بَارَاسْيُوس» وَقَالَ لَهُ:

- مَا رَأْيُكَ لَوْ نَتَوَقَّفُ عَنِ الْجِدَالِ وَالصُّرَاخِ، وَنَضَعُ لَوْحَاتِنَا تَحْتَ التَّجْرِبَةِ!!

قَالَ «بَارَاسْيُوس»:

- كَيْفَ؟

قَالَ «زُيُوكْسِيس»:

- لَيْسَ الْمُهِمُّ مَعْرِفَةَ مَا هُوَ الْأَرْوَعُ.. الْفَنُّ أَوِ الطَّبِيعَةُ؛ لَكِنَّ الْمُهِمَّ أَنْ نَرْسُمَ لَوْحَاتٍ جَيِّدَةً مُعَبِّرَةً حَتَّى يَبْدُوَ مَا نَرْسُمُهُ حَقِيقِيًّا، وَلَيْسَ مِنْ وَحْيِ الْخَيَالِ.

قَالَ «بَارَاسْيُوس»:

- مُوَافِقٌ عَلَى أَنْ تَرْسُمَ أَنْتَ لَوْحَةً أَحْكُمُ أَنَا عَلَيْهَا، ثُمَّ أَرْسُمُ أَنَا لَوْحَةً تَحْكُمُ أَنْتَ عَلَيْهَا.

وَافَقَ «زُيُوكْسِيس» وَقَالَ:

- إِذَنْ سَأَبْدَأُ أَنَا أَوَّلًا، وَنَتَقَابَلُ بَعْدَ أُسْبُوعٍ فِي مَرْسَمِي.



وَافْتَرَق الصَّدِيقَانِ «زُيُوكْسِيس» يَرْسُـــمُ، وَ«بَارَاسْيُوس» يَنْتَظِرُ لِيَرَى مَا يَرْسُمُهُ صَدِيقُهُ، وَمَضَى الْأُسْبُوعُ، وَفِي الصَّبَاحِ ذَهَبَ «بَارَاسْيُوس» إِلَى مَرْسَمِ صَدِيقِهِ «زُيُوكْسِيس».

وَبَدَأَ «زُيُوكْسِيس» يَعْرِضُ لَوْحَتَهُ.

كَانَتْ لَوْحَةً مُتَوَسِّطَةَ الْحَجْمِ تُمَثِّلُ سَلَّةَ فَاكِهَةٍ، يَظْهَرُ فِيهَا الْخَوْخُ وَكَأَنَّهُ قَدْ جُنِيَ مُنْذُ لَحْظَةٍ، وَيَكَادُ التُّوتُ يَتَفَجَّرُ مِنْ حَلَاوَتِهِ، وَالْبُرْتُقَالُ يَدْعُو كُلَّ يَدٍ إِلَى الْإِمْسَاكِ بِهِ، وَقَطَرَاتُ النَّدَى تَتَلَأْلَأُ فَوْقَ الثِّمَارِ الْأُخْرَى.

جَلَسَ الصَّدِيقَانِ عَلَى مَقْعَدٍ قَرِيبٍ مِنَ اللَّوْحَةِ لِيَتَأَمَّلَا هَذَا الْمَنْظَرَ الْجَمِيلَ، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ حَطَّ طَائِرٌ عَلَى اللَّوْحَةِ مُحَاوِلًا الْتِقَاطَ الْفَاكِهَةِ مِنْهَا.

وَهنَا قَالَ «بَارَاسْيُوس»:

ـ أُهَنِّئُكَ يَا صَدِيقِي، لَقَدْ رَسَمْتَ مَا يَبْدُو أَنَّهُ حَقِيقِيٌّ، وَسَيَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أَتَفَوَّقَ عَلَيْكَ، لَكِنَّنِي سَأُحَاوِلُ، امْنَحْنِي وَقْتًا أَسْـــتَطِيعُ فِيهِ أَنْ أُفَكِّرَ فِي رَسْمٍ يَبْدُو حَقِيقِيًّا مِثْلَ رَسْمِكَ!

مَرَّ أَكْثَرُ مِنْ شَـــهْرٍ، ثُمَّ دَعَا «بَارَاسْيُوس» صَدِيقَهُ إِلَى مَرْسَمِهِ، وَسَأَلَهُ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى سَتَائِرَ كَبِيرَةٍ! مَاذَا تَرَى فِي هَذِهِ اللَّوْحَةِ؟

قَالَ «زُيُوكْسِيس»:

ـ لَوْ أَزَحْتَ عَنْهَا السَّتَائِرَ جَانِبًا سَأُخْبِرُكَ بِمَا تَعْنِيهِ الصُّورَةُ.

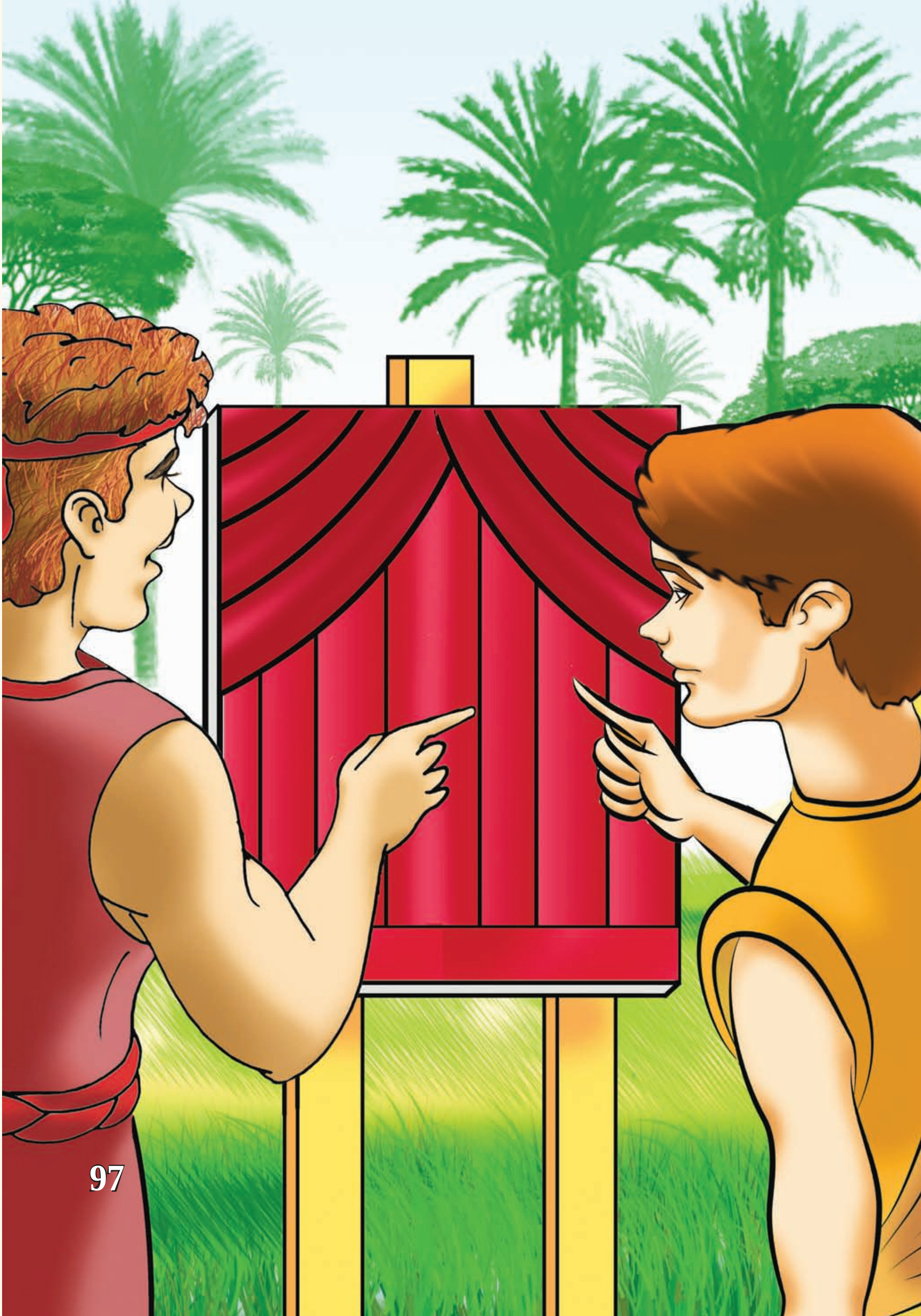
أَجَابَ «بَارَاسْيُوس» ضَاحِكًا:

ـ آهٍ يَا صَدِيقِي.. إِنَّ السَّتَائِرَ هِيَ اللَّوْحَةُ نَفْسُهَا.

قَالَ «زُيُوكْسِيس»:

ـ لَقَدْ فُزْتَ يَا صَدِيقِي.. لَقَدْ خَدَعْتُكَ أَنَا وَالطَّائِرُ فَقَطْ، لَكِنَّكَ خَدَعْتَنِي بِفَنِّكَ!! وَالْآنَ، هَلْ لَنَا أَنْ نَدَعَ التَّنَافُسَ جَانِبًا وَنَعُودَ صَدِيقَيْنِ مُحِبَّيْنِ؟

وَعَاشَ الرَّسَّامَانِ صَدِيقَيْنِ يَتَبَارَيَانِ فِي الْفَنِّ وَالْإِخْلَاصِ لِلصَّدَاقَةِ!!



سِبَارْتَاكُوس

كَانَتْ رُومَا الْقَدِيمَةُ مَسْـرَحًا لِلسَّـادَةِ وَالْعَبِيدِ، وَكَانَ السَّادَةُ يَسْتَمْتِعُونَ بِمُشَاهَدَةِ الْعَبِيدِ وَهُمْ يَتَصَارَعُونَ أَوْ يَتَبَارَزُونَ بِشَرَاسَةٍ، وَحِينَمَا يَسْقُطُ عَبْدٌ مَيِّتًا يُصَفِّقُونَ لِلْعَبْدِ الْمُنْتَصِرِ، وَيَرْفَعُونَ جُثَّةَ الْعَبْدِ الْمَهْزُومِ خَارِجَ السَّاحَةِ!!

وَكَانَتْ هَذِهِ اللُّعْبَةُ مَثَارَ تَرْحِيبٍ شَـدِيدٍ مِنَ الْجُمْهُورِ الَّذِي يَعْشَـقُ الْإِثَارَةَ الدَّائِمَةَ فِي حَلْبَةِ الْقِتَالِ.

وَفِي عَامِ 73 ق.م قَادَ عَبْدٌ مِنْ «تَرَاقْيَا» عَمَلًا خَارِقًا.. عُرِفَ بِثَوْرَةِ الْعَبِيدِ، كَانَ اسْمُ هَذَا الْعَبْدِ «سِبَارْتَاكُوس».

لَمْ يَكُنْ فِي نِيَّتِهِ غَزْوُ الْبِلَادِ، بَلْ كَانَ كُلُّ مَا يَتَمَنَّاهُ أَنْ يُحَرِّرَ نَفْسَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ الْعَبِيدَ مِنْ هَذِهِ الْأَلْعَابِ الشَّنِيعَةِ الَّتِي يَقْتُلُ فِيهَا الْعَبِيدُ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَجْلِ إِثَارَةِ السَّادَةِ وَالْجُمْهُورِ.

وَضَعَ «سِبَارْتَاكُوس» خُطَّةً لِلْهَرَبِ لِخَمْسِينَ عَبْدًا مَعَهُ.

كَانَتِ الْخُطَّةُ تَقْضِي أَنْ يَهْرُبَ الْعَبِيدُ وَقْتَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ؛ لِأَنَّهُ الْوَقْتُ الْوَحِيدُ الْمُلَائِمُ الَّذِي كَانَ يَعْتَقِدُ الْحُرَّاسُ أَنَّ مَا يَشْغَلُ الْعَبِيدَ فِيهِ هُوَ الْأَكْلُ.

وَجَاءَ يَوْمُ التَّنْفِيذِ.

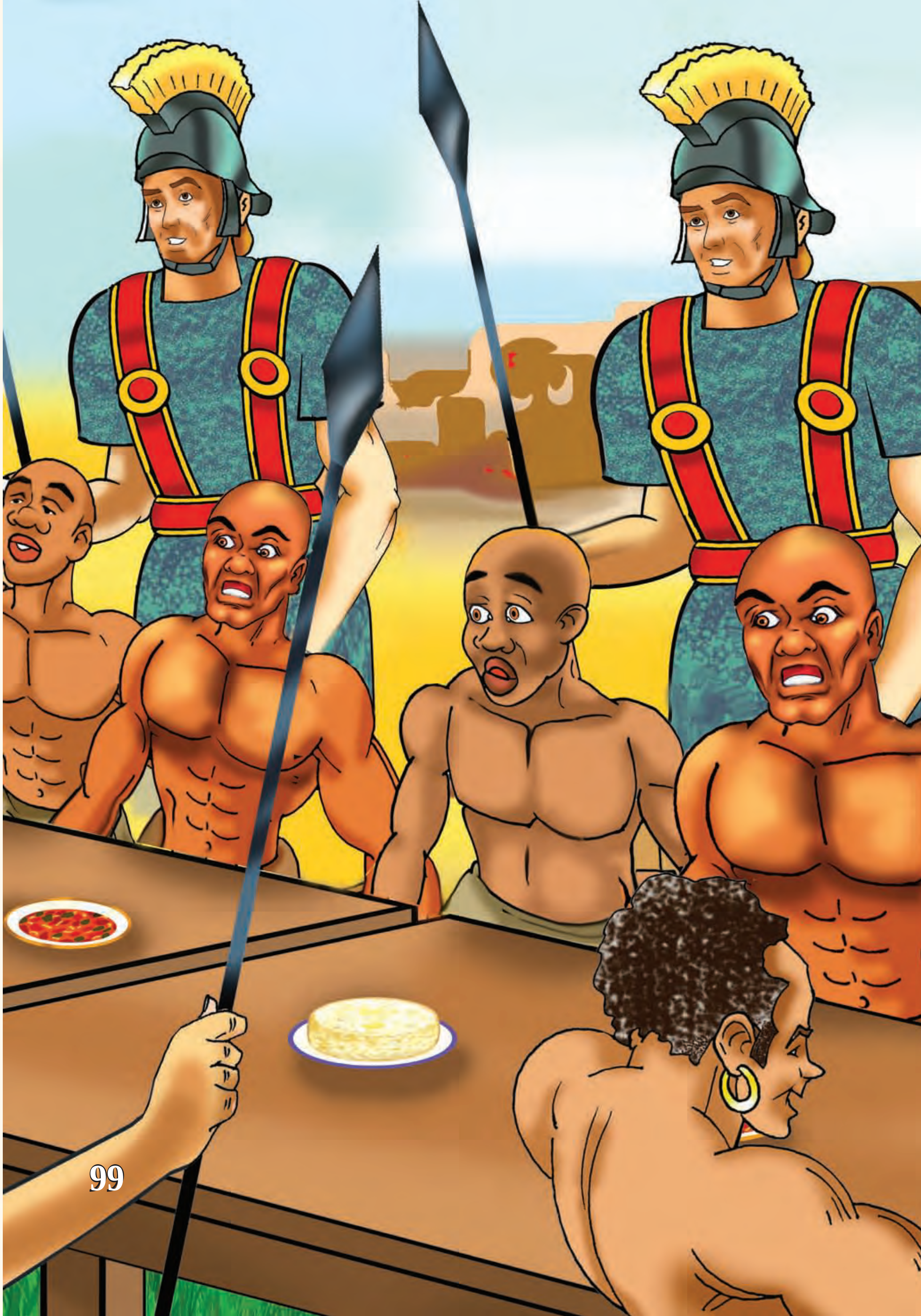
وَجَلَسَ الْجَمِيعُ إِلَى مَوَائِدِ الطَّعَامِ كَعَادَتِهِمْ، أَمَّا أَبْوَابُ الْقَاعَةِ فَكَانَتْ مُغْلَقَةً بِالْمَزَالِيجِ الْحَدِيدِيَّةِ، وَيَقِفُ عَلَيْهَا الْحُرَّاسُ بِسِيَاطِهِمْ وَسُيُوفِهِمْ.

كَانَتْ أَعْيُنُ الْعَبِيدِ مُسَلَّطَةً عَلَى «سِـبَارْتَاكُوس» الَّذِي سَوْفَ يُعْطِي إِشَارَةَ الْبَدْءِ. فَجْأَةً قَذَفَ «سِبَارْتَاكُوس» طَبَقَهُ وَانْتَصَبَ وَاقِفًا!!

صَرَخَ فِيهِ أَحَدُ الْحُرَّاسِ:

- اجْلِسْ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْحَقِيرُ، وَالْتَقِطْ هَذَا الطَّبَقَ.

لَمْ يُطِعْهُ «سِبَارْتَاكُوس»، بَلِ اسْـتَدَارَ وَأَمْسَكَ بِالْحَارِسِ مِنْ حَنْجَرَتِهِ وَدَقَّ عُنُقَهُ، وَسُرْعَانَ مَا قَفَزَ الْعَبِيدُ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ وَرَفَعُوا الْمَقَاعِدَ وَالْمَوَائِدَ فِي وُجُوهِ



الْحُرَّاسِ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْحَرَسُ أَنْ يُقَاوِمُوهُمْ.

وَامْتَـــلَأَ الْمَكَانُ بِالْفَوْضَى وَالضَّوْضَـــاءِ وَالصِّرَاعِ بَيْنَ الْحُـــرَّاسِ وَالْعَبِيدِ، وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ حَتَّى اسْتَسْـــلَمَ الْحُرَّاسُ، فَسَقَطَ مِنْهُمْ مَنْ سَقَطَ، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ!! وَأَسْرَعَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّهَاةِ فَقَتَلُوهُمْ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى السَّكَاكِينِ وَالسَّـــوَاطِيرِ وَحَطَّمُوا الْأَبْوَابَ، وَارْتَدَوْا دُرُوعَ الْقِتَالِ، وَغَادَرُوا الْمَدِينَةَ فِي اتِّجَاهِ رُومَا، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى بَعْضِ الْأَسْلِحَةِ فِي الطَّرِيقِ.

حِينَمَا وَصَلُوا إِلَى مَشَارِفِ رُومَا خَطَبَ فِيهِمْ «سِبَارْتَاكُوس» قَائِلًا:

ـ لَقَدْ كَانَ الْأَمْسُ آخِرَ قِتَالٍ لَنَا ضِدَّ بَعْضِنَا الْبَعْضِ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ أَحْرَارٌ، وَلِكَيْ نَظَلَّ هَكَذَا عَلَيْنَا أَلَّا نَفْتَرِقَ وَأَنْ نَظَلَّ مَعًا.

وَبَعْدَ أَنْ كَانَ عَدَدُهُمْ لَا يَزِيدُ عَلَى سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ عَبْدًا، تَكَاثَرَتْ هَذِهِ الْقِلَّةُ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمُ الْعَبِيدُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

وَجَدَ «سِبَارْتَاكُوس» نَفْسَـــهُ قَائِدًا لِجَيْشٍ مِنَ الْعَبِيدِ يَصِلُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ مِنْ أَقْوَى الْجُنُودِ وَالْمُصَارِعِينَ.

أَمَّـــا حُكَّامُ رُومَا فَقَدْ أَصَابَهُمُ الذُّهُولُ؛ إِذْ كَيْفَ يُعْلِنُ عَبْدٌ عِصْيَانَهُ ثُمَّ تَنْضَمُّ إِلَيْهِ هَذِهِ الْأَعْدَادُ الْكَبِيرَةُ مِنَ الْعَبِيدِ؟!

وَبِالطَّبْعِ.. أَعْلَنَتِ السُّـــلُطَاتُ الرُّومَانِيَّةُ أَنَّ «سِـــبَارْتَاكُوس» مُجْرِمٌ يَقُودُ عِصَابَةً مِنَ الْمُجْرِمِينَ، وَرُصِدَتْ مُكَافَأَةٌ ضَخْمَةٌ لِمَنْ يَأْسِرُهُ!

وَظَلَّ الصِّرَاعُ بَيْنَ الْقُوَّاتِ الرُّومَانِيَّةِ وَثَوْرَةِ الْعَبِيدِ أَكْثَرَ مِنْ سَـــنَتَيْنِ، حَتَّى اسْـــتَطَاعَتِ الْقُوَّاتُ النِّظَامِيَّةُ مُحَاصَرَةَ «سِبَارْتَاكُوس» فِي بَرْزَخٍ ضَيِّقٍ، وَكَانَ لَابُدَّ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ وَالِالْتِحَامِ.

شَـــقَّ «سِـــبَارْتَاكُوس» وَبَعْضُ جُنُودِهِ صُفُوفَ الرُّومَانِ، وَتَلَاحَمَ الْجَمِيعُ بِالسُّـــيُوفِ وَالْأَيْدِي، وَقُطِعَتْ يَدَا «سِـــبَارْتَاكُوس»، فَوَاصَلَ الْقِتَالَ جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ!! وَكَانَ صِرَاعًا غَيْرَ مُتَكَافِئٍ، قُتِلَ فِيهِ قَائِدُ الْعَبِيدِ، لَكِنَّ مَوْتَهُ لَمْ يَذْهَبْ هَدَرًا؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ الَّذِي حَرَّرَ نَفْسَهُ كَانَ مَثَلًا لِكُلِّ النَّاسِ التَّوَّاقِينَ إِلَى الْحُرِّيَّةِ!!



الْقَاتِلُ اللَّعِينُ

ذَاتَ صَبَاحٍ كَانَ صَدِيقَـانِ يُمَارِسَانِ رِيَاضَةَ الْمَشْيِ فِي مِنْطَقَـةِ أَدْغَـالِ الْهِنْدِ.

وَفَجْأَةً رَأَيَا رَجُلًا يَلْبَسُ ثِيَابَ الْحُكَمَاءِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْأَدْغَالِ وَيَجْرِي فِي ذُعْرٍ شَدِيدٍ!! فَسَأَلَاهُ:

ـ لِمَاذَا تَجْرِي مَذْعُورًا هَكَذَا أَيُّهَا الْحَكِيمُ؟!

قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ فِي هَذَا الدَّغَلِ الْبَعِيدِ «قَاتِلَ الْإِنْسَانِ»!

سَأَلَاهُ: لَعَلَّكَ رَأَيْتَ نَمِرًا!

قَالَ: كَلَّا.. إِنَّهُ أَخْطَرُ مِنَ النَّمِرِ بِكَثِيـــرٍ؛ لَقَدْ أَخْرَجْتُهُ مِنَ الْأَرْضِ حِينَ كُنْتُ أَقْتَلِعُ بَعْضَ الْعُشْبِ!

قَالَا: فَمَا هُوَ؟

قَالَ: كَوْمَةٌ مِنَ النُّقُودِ الذَّهَبِيَّةِ.

قَالَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ: ذَهَبٌ!! ذَهَبٌ! أَيْنَ هُوَ، أَيْنَ هُوَ؟!

دَلَّهُمَا الْحَكِيمُ بِالْإِشَـــارَةِ عَلَى مَوْضِعِ الذَّهَبِ، وَمَضَى هُوَ إِلَى حَالِ سَـــبِيلِهِ.
وَأَسْـــرَعَ الصَّدِيقَانِ إِلَى حَيْثُ أَشَـــارَ الْحَكِيمُ، فَوَجَدَا بِالْفِعْلِ كِيسًا مِنَ النُّقُودِ الذَّهَبِيَّةِ!!

قَالَ أَحَدُهُمَا:

ـ مَا أَغْبَى هَذَا الْحَكِيمَ، هَلْ يُسَمِّي الْحُكَمَاءُ وَاهِبَ الْحَيَاةِ قَاتِلَ الْإِنْسَانِ؟!

أَجَابَهُ صَدِيقُهُ:

ـ دَعْكَ مِنْ هَذَا، وَتَعَالَ نُفَكِّرْ مَاذَا نَصْنَعُ بِهَذَا الذَّهَبِ، فَمِنَ الْخَطَرِ أَنْ نَحْمِلَهُ إِلَى الْقَرْيَةِ الْآنَ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ، فَيَعْلَمَ النَّاسُ مَاذَا نُخْفِيهِ.

قَالَ الصَّدِيقُ: وَمَاذَا تَقْتَرِحُ؟

قَالَ: نُبْقِيهِ هُنَا فِي الدَّغَلِ وَيَحْرُسُهُ وَاحِدٌ مِنَّا، وَيَذْهَبُ الْآخَرُ لِيُحْضِرَ طَعَامًا.



وَتَمَّ الِاتِّفَاقُ عَلَى أَنْ يَحْرُسَ أَحَدُ الصَّدِيقَيْنِ الذَّهَبَ، وَيَذْهَبَ الْآخَرُ لِإِحْضَارِ الطَّعَامِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَدَّثَ الْحَارِسُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ:

- مِنْ سُوءِ حَظِّي أَنَّ مَعِيَ شَرِيكًا فِي هَذَا الْكَنْزِ، وَلِهَذَا فَأَنَا مُضْطَرٌّ لِأَنْ أُعْطِيَ صَدِيقِي نِصْفَهُ. لَكِنَّهُ يَعِيشُ وَحِيدًا مَعَ زَوْجَتِهِ، أَمَّا أَنَا فَلِي زَوْجَةٌ وَأَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ وَأُمٌّ، وَهُوَ أَيْضًا لَدَيْهِ ثَرْوَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا، أَمَّا أَنَا فَأَعِيشُ عَلَى الْكَفَافِ؛ إِذَنْ مِنْ حَقِّي أَنَا أَنْ آخُذَ الذَّهَبَ كُلَّهُ!!

سَادَتْ فَتْرَةُ تَفْكِيرٍ، ثُمَّ قَالَ:

- لَنْ يُمْكِنَنِي أَخْذُ الذَّهَبِ إِلَّا إِذَا تَخَلَّصْتُ مِنْ صَدِيقِي هَذَا، وَلَسَوْفَ أُفَاجِئُهُ حِينَ يَجِيءُ وَأَقْتُلُهُ بِهَذِهِ السِّكِّينِ وَأَفُوزُ أَنَا بِالْكَنْزِ كُلِّهِ!!

أَمَّا صَدِيقُهُ الْآخَرُ، فَقَدْ ذَهَبَ يُحْضِرُ طَعَامًا يَكْفِيهِمَا، وَفِي الطَّرِيقِ حَدَّثَ نَفْسَهُ فَقَالَ:

- لِمَاذَا أُعْطِي نِصْفَ الذَّهَبِ لِهَذَا الرَّجُلِ؟! إِنَّنِي مُثْقَلٌ بِالدُّيُونِ، وَلَمْ أَدَّخِرْ شَيْئًا لِشَيْخُوخَتِي، وَمِنَ الْعَدْلِ أَنْ أَفُوزَ أَنَا بِالذَّهَبِ كُلِّهِ، لَكِنْ كَيْفَ؟

بَعْدَ صَمْتٍ قَصِيرٍ قَالَ:

- نَعَمْ.. نَعَمْ سَأَتَنَاوَلُ طَعَامِي أَنَا الْآنَ، أَمَّا طَعَامُهُ فَسَأَمْزِجُهُ بِالسُّمِّ فَيَأْكُلُهُ وَيَمُوتُ، وَأَحْصُلُ وَحْدِي عَلَى الْكَنْزِ!!

وَالْتَقَى الصَّدِيقَانِ.

وَمَا كَادَ يَرَى الصَّدِيقُ الْحَارِسُ صَدِيقَهُ الْآخَرَ حَتَّى هَاجَمَهُ بِالسِّكِّينِ وَانْتَهَى مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ:

- يَا لَلْمِسْكِينِ!! إِنَّ سَبَبَ مَوْتِكَ هُوَ نِصْفُ هَذَا الذَّهَبِ، وَالْآنَ فَلْآكُلْ مِلْءَ بَطْنِي فَإِنِّي أُحِسُّ جُوعًا قَاتِلًا.

وَأَقْبَلَ عَلَى الطَّعَامِ، وَتَنَاوَلَهُ، وَمَاتَ بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ مَوْتَةً مُؤْلِمَةً، وَهُوَ يَقُولُ:

- لَقَدْ صَدَقَ الْحَكِيمُ؛ إِنَّهُ قَاتِلُ الْإِنْسَانِ، إِنَّ الذَّهَبَ قَاتِلُ الْإِنْسَانِ!!



الْفَلَّاحُ وَالْكَنْزُ

هَذِهِ حِكَايَةٌ مِنَ الْأَدَبِ الْأُورُوبِّيِّ تَحْكِي عَنْ فَلَّاحٍ بَسِيطٍ يَعْمَلُ فِي مَزْرَعَةِ أَحَدِ السَّادَةِ، وَكَانَ السَّيِّدُ يُعَامِلُهُ مُعَامَلَةً قَاسِيَةً!!

وَفِي يَوْمٍ كَانَ يَحْفِرُ الْأَرْضَ بِفَأْسِهِ، فَاصْطَدَمَتْ بِجِسْمٍ صُلْبٍ ظَنَّهُ صَخْرَةً قَوِيَّةً، وَحِينَمَا كَشَفَ التُّرَابَ وَجَدَ صُنْدُوقًا مَمْلُوءًا بِالْمَالِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَسْرَعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَحَذَّرَ زَوْجَتَهُ أَنْ تَبُوحَ بِهَذَا السِّرِّ لِأَحَدٍ؛ حَتَّى لَا يَعْرِفَ سَيِّدُهُ مَا حَدَثَ فَيُطَالِبَهُ بِالْكَنْزِ الَّذِي كَانَ فِي مَزْرَعَتِهِ.

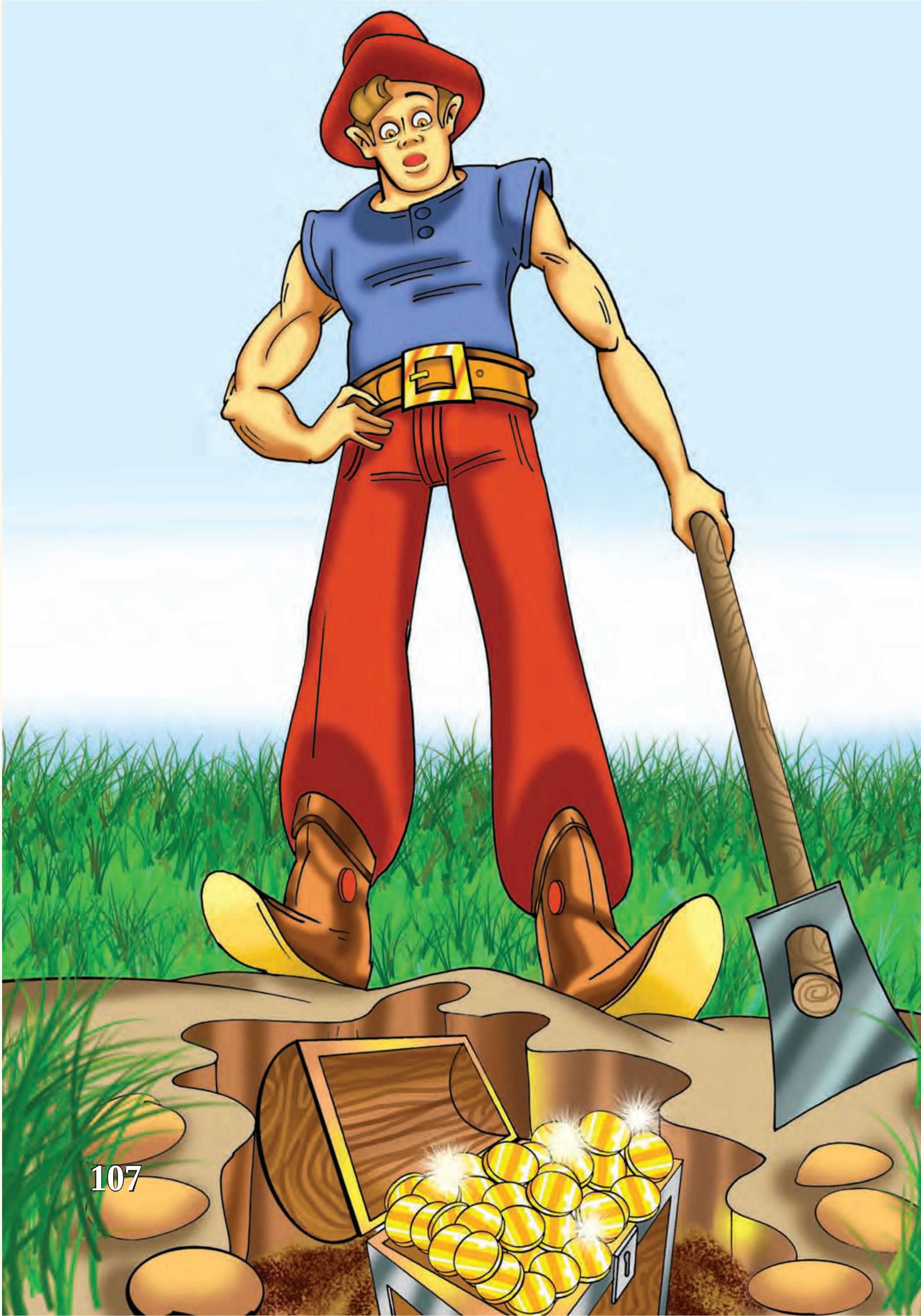
وَكَمَا تَفْعَلُ النِّسَاءُ، حَرَصَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ إِلَّا عَلَى صَدِيقَاتِهَا، وَحَرَصَتِ الصَّدِيقَاتُ عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَوَصَلَ الْأَمْرُ أَخِيرًا إِلَى صَاحِبِ الْمَزْرَعَةِ، الَّذِي جَاءَ وَطَرَقَ بَابَ الْفَلَّاحِ، وَصَاحَ فِي وَجْهِ الزَّوْجَةِ غَاضِبًا، وَتَوَعَّدَهَا بِالطَّرْدِ وَالْعِقَابِ إِذَا لَمْ تَبُحْ بِمَكَانِ الْكَنْزِ!!

وَأَمَامَ تَهْدِيدِ السَّيِّدِ حَكَتْ لَهُ الزَّوْجَةُ كُلَّ شَيْءٍ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ فِعْلًا مَكَانَ الْكَنْزِ، فَاسْتَدَارَ السَّيِّدُ عَائِدًا عَلَى أَنْ يَرْجِعَ وَيَرَى زَوْجَهَا فِي صَبَاحِ الْغَدِ. وَظَلَّتِ الزَّوْجَةُ فِي رُعْبٍ شَدِيدٍ حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا وَحَكَتْ لَهُ مَا حَدَثَ، فَابْتَسَمَ وَقَالَ:

- لَا بَأْسَ.. لَا بَأْسَ!! ارْتَدِي الْآنَ ثِيَابَكِ؛ فَأَنَا وَأَنْتِ سَنَتَنَاوَلُ طَعَامَ الْعَشَاءِ فِي مَطْعَمٍ عَلَى النَّهْرِ.. وَسَوْفَ أُخْفِي الذَّهَبَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ.

وَرَكِبَا الْعَرَبَةَ وَانْطَلَقَا إِلَى الْمَطْعَمِ، وَجَلَسَا يَأْكُلَانِ وَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ الزَّوْجُ لِلَحَظَاتٍ وَأَخْفَى صُنْدُوقَهُ فِي مَكَانٍ أَمِينٍ، ثُمَّ عَادَ بِكِيسٍ مَمْلُوءٍ بِفُتَاتِ الْخُبْزِ وَوَضَعَهُ فَوْقَ الْعَرَبَةِ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَطْعَمَ لِيُكْمِلَ عَشَاءَهُ!!

وَفِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ نَامَتِ الزَّوْجَةُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَتْ مَذْعُورَةً إِثْرَ ضَرْبَةٍ قَوِيَّةٍ عَلَى رَأْسِهَا، فَأَخَذَتْ تَتَحَسَّسُ رَأْسَهَا فَتَبَيَّنَتْ أَنَّ قِطْعَةً مِنَ الْخُبْزِ سَقَطَتْ



عَلَى رَأْسِهَا، فَعَادَتْ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى النَّوْمِ، وَاسْتَيْقَظَتْ ثَانِيَةً عَلَى سُقُوطِ قِطْعَةٍ أُخْرَى مِنَ الْخُبْزِ، وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَهِيَ لَا تَدْرِي مَا يَحْدُثُ، فَسَأَلَتْ زَوْجَهَا:

ـ أَتَرَى مَا يَحْدُثُ، أَيُمْكِنُ أَنْ تُمْطِرَ السَّمَاءُ خُبْزًا؟!

قَالَ الزَّوْجُ: شَيْءٌ غَرِيبٌ حَقًّا، إِنَّنِي رَأَيْتُهُ أَيْضًا يَسْقُطُ فَوْقِي!!

وَاقْتَرَبَتِ الْعَرَبَةُ مِنَ الْبَيْتِ، وَمَرَّتْ بِجِوَارِ قَصْرِ السَّيِّدِ، فَسَمِعَتِ الْمَرْأَةُ صَوْتَ نَهِيقٍ مُنْكَرٍ، فَسَأَلَتْ زَوْجَهَا:

ـ مَاذَا أَسْمَعُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تَأْتِي هَذِهِ الْأَصْوَاتُ الْمُنْكَرَةُ؟!

فَهَمَسَ زَوْجُهَا قَائِلًا:

ـ إِنَّهُ صَوْتُ السَّيِّدِ، فَقَدْ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ يُحَاسِبُهُ عَلَى مَالٍ كَانَ قَدِ اسْتَدَانَهُ مِنْهُ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ!!

ارْتَعَدَتِ الزَّوْجَةُ وَقَالَتْ:

ـ أَسْرِعْ بِنَا إِلَى الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الشَّيْطَانُ وَيَرَانَا!

أَخَذَ الرَّجُلُ يَضْرِبُ الْحِصَانَ لِيُسْرِعَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا:

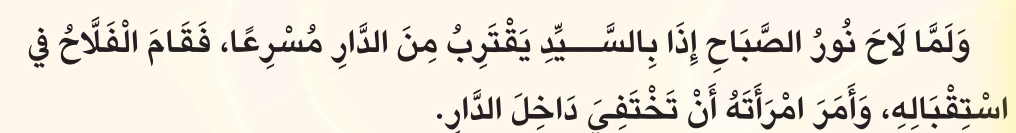
ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّكِ لَمْ تَسْمَعِي سِوَى ذَلِكَ النَّبَإِ، فَلَوْ كُنْتِ عَرَفْتِ النَّبَأَ الْآخَرَ لَمُتِّ مِنَ الرُّعْبِ!

أَلَحَّتِ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجِهَا أَنْ يُخْبِرَهَا بِهَذَا النَّبَإِ، فَقَالَ:

ـ إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ عَبَرُوا الْحُدُودَ، وَسَوْفَ يَكُونُونَ هُنَا اللَّيْلَةَ؛ لِذَا فَسَوْفَ أَصْعَدُ إِلَى سَطْحِ الْبَيْتِ وَمَعِي بُنْدُقِيَّتِي لِأُدَافِعَ عَنِ الدَّارِ وَأَقْتُلَ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْهُمْ!

فَزِعَتِ الْمَرْأَةُ، وَصَمَتَتْ تَمَامًا!! وَحِينَمَا وَصَلَا إِلَى الدَّارِ، أَمَرَهَا بِالنَّوْمِ وَصَعِدَ هُوَ إِلَى السَّطْحِ، وَبَدَأَ يُحْدِثُ أَصْوَاتًا مِثْلَ طَلَقَاتِ الْبُنْدُقِيَّةِ حَتَّى الْفَجْرِ، فَلَمْ تَرَ الزَّوْجَةُ النَّوْمَ لَيْلَتَهَا، حَتَّى حَضَرَ زَوْجُهَا لِيُخْبِرَهَا بِأَنَّهُ قَتَلَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْأَعْدَاءِ!





وَلَمَّا لَاحَ نُورُ الصَّبَاحِ إِذَا بِالسَّـــيِّدِ يَقْتَرِبُ مِنَ الدَّارِ مُسْرِعًا، فَقَامَ الْفَلَّاحُ فِي اسْتِقْبَالِهِ، وَأَمَرَ امْرَأَتَهُ أَنْ تَخْتَفِيَ دَاخِلَ الدَّارِ.

صَرَخَ السَّيِّدُ فِي وَجْهِ الْفَلَّاحِ:

ـ أَيْنَ الْكَنْزُ الَّذِي وَجَدْتَهُ فِي مَزْرَعَتِي أَيُّهَا الرَّجُلُ؟

تَظَاهَرَ الْفَلَّاحُ بِالدَّهْشَـــةِ وَقَالَ:

ـ كَنْزٌ.. أَيُّ كَنْزٍ يَا سَيِّدِي؟!

رَفَعَ السَّيِّدُ السَّوْطَ وَقَالَ:

ـ حَذَارِ مِنَ الْإِنْكَارِ؛ فَقَدِ اعْتَرَفَتْ زَوْجَتُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ.

ضَحِكَ الْفَلَّاحُ وَقَالَ:

ـ زَوْجَتِي! أَهِيَ الَّتِي قَالَتْ ذَلِكَ؟! أَلَا تَعْلَمُ يَا سَيِّدِي أَنَّهَا تُعَانِي مِنْ مَرَضٍ عَقْلِيٍّ؟!

صَاحَ السَّيِّدُ:

ـ أَنَا لَا أُصَدِّقُكَ، نَادِ زَوْجَتَكَ لِتَحْضُرَ حَالًا.

نَادَى الْفَلَّاحُ زَوْجَتَهُ، وَسَأَلَهَا السَّيِّدُ عَنِ الْكَنْزِ، فَقَالَتْ مِثْلَ مَا قَالَتْ بِالْأَمْسِ، وَزَادَتْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهَا رَافَقَتْ زَوْجَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَحَمَلَ مَعَهُ الْكَنْزَ لِيُخْفِيَهُ.

هَزَّ السَّيِّدُ رَأْسَهُ بِانْتِصَارٍ وَسَأَلَهَا:

ـ مَتَى كَانَ ذَلِكَ؟ قُولِي أَمَامَ زَوْجِكِ!

أَجَابَتْ:

ـ بِالْأَمْسِ، حِينَ هَبَّتِ الْعَاصِفَةُ وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ قِطَعَ الْخُبْزِ!

ظَنَّ السَّيِّدُ أَنَّهَا تَسْخَرُ مِنْهُ، فَقَالَ:

ـ قِطَعُ الْخُبْزِ يَا امْرَأَةُ، أَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ خُبْزًا؟! ثُمَّ مَاذَا؟!



قَالَتْ:

ـ وَحِينَمَا عُدْنَا كَانَ الشَّيْطَانُ يُحَاسِبُكَ وَيَضْرِبُكَ بِالسَّوْطِ عَلَى دَيْنٍ لَمْ تُسَدِّدْهُ لَهُ، وَفِي الْمَسَاءِ كَانَتِ الْمَعْرَكَةُ مَعَ الأَعْدَاءِ، وَصَعِدَ زَوْجِي لِيَحْمِيَ دَارَنَا مِنْهُمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ عَدَدًا كَبِيرًا.

وَهُنَا صَرَخَ السَّيِّدُ وَقَدْ نَفِدَ صَبْرُهُ:

ـ أَمَجْنُونَةٌ أَنْتِ يَا امْرَأَةُ، السَّـــمَاءُ تُمْطِرُ خُبْزًا، وَالشَّيْطَانُ يَضْرِبُنِي بِالسَّوْطِ، وَالْأَعْدَاءُ فِي الْقَرْيَةِ، مَا هَذَا؟!

هُنَا قَالَ الْفَلَّاحُ:

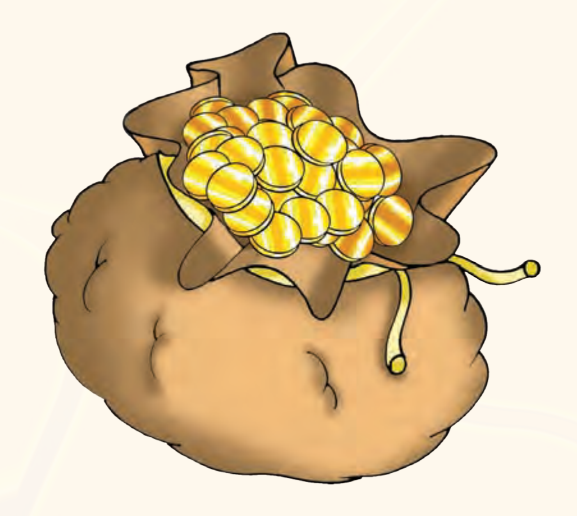
ـ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَا سَيِّدِي؟!

قَاطَعَهُ السَّيِّدُ قَائِلًا:

ـ كَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِكَ يَا رَجُلُ!! كَيْفَ تَعِيشُ مَعَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ؟!

ثُمَّ تَرَكَ السَّيِّدُ الزَّوْجَيْنِ وَانْصَرَفَ فِي دَهْشَةٍ!

وَبَعْدَ شَهْرٍ مِنْ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ اخْتَفَى مِنَ الْمَزْرَعَةِ الْفَلَّاحُ وَزَوْجَتُهُ، ثُمَّ ظَهَرَا بَعْدَ مُدَّةٍ فِي الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْبِلَادِ، حَيْثُ اشْتَرَى الْفَلَّاحُ مَزْرَعَةً كَبِيرَةً لِنَفْسِهِ وَعَاشَ فِيهَا مَعَ زَوْجَتِهِ!!



النَّايُ وَوِسَادَةُ الدُّخَانِ

تُرْوَى هَذِهِ الْحِكَايَةُ فِي غَرْبِ أَفْرِيقْيَا..

كَانَ لَدَى زَعِيمٍ قَدِيمٍ لِإِحْدَى الْقَبَائِلِ ابْنَةٌ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ.

وَكَانَ كُلُّ شَبَابِ الْقَبِيلَةِ يَتَسَابَقُونَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُظْهِرُوا لَهَا قُوَّتَهُمْ لِيَفُوزَ أَحَدُهُمْ بِهَا زَوْجَةً لَهُ.

لَكِنَّ أَبَاهَا وَضَعَ شَرْطًا غَرِيبًا لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ.

إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ بِالْقَبِيلَةِ شَبَابًا أَقْوِيَاءَ، وَفُرْسَانًا مُمْتَازِينَ، وَلَمْ يَكُنْ يَهُمُّهُ ذَلِكَ!

أَعْلَنَ الْأَبُ أَنَّ الْفَتَى الَّذِي يُمْكِنُهُ صُنْعُ نَايٍ مِنَ الصَّخْرِ سَوْفَ يَفُوزُ بِابْنَتِهِ الْجَمِيلَةِ.

ـ نَايٌ مِنَ الصَّخْرِ؟! إِنَّهُ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ حَقًّا!!

لَقَدْ رَدَّدَ الْجَمِيعُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، مَا عَدَا فَتًى أَرَادَ أَنْ يُجَرِّبَ حَظَّهُ، فَذَهَبَ إِلَى الزَّعِيمِ وَقَالَ لَهُ:

ـ سَوْفَ أَنْحَتُ نَايًا مِنَ الصَّخْرِ يَا سَيِّدِي، فَقَطْ أَعْطِنِي الْأَدَوَاتِ الَّتِي تُسَاعِدُنِي عَلَى ذَلِكَ.

فَأَمَرَ الزَّعِيمُ بِإِعْطَائِهِ مَا يُرِيدُ مِنَ الْأَدَوَاتِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي خَرَجَ الْفَتَى بَعِيدًا عَنِ الْقَبِيلَةِ حَتَّى وَجَدَ صَخْرَةً مَلْسَاءَ، فَأَخَذَ يَتَحَسَّسُهَا وَيُفَكِّرُ كَيْفَ يَصْنَعُ هَذَا النَّايَ.

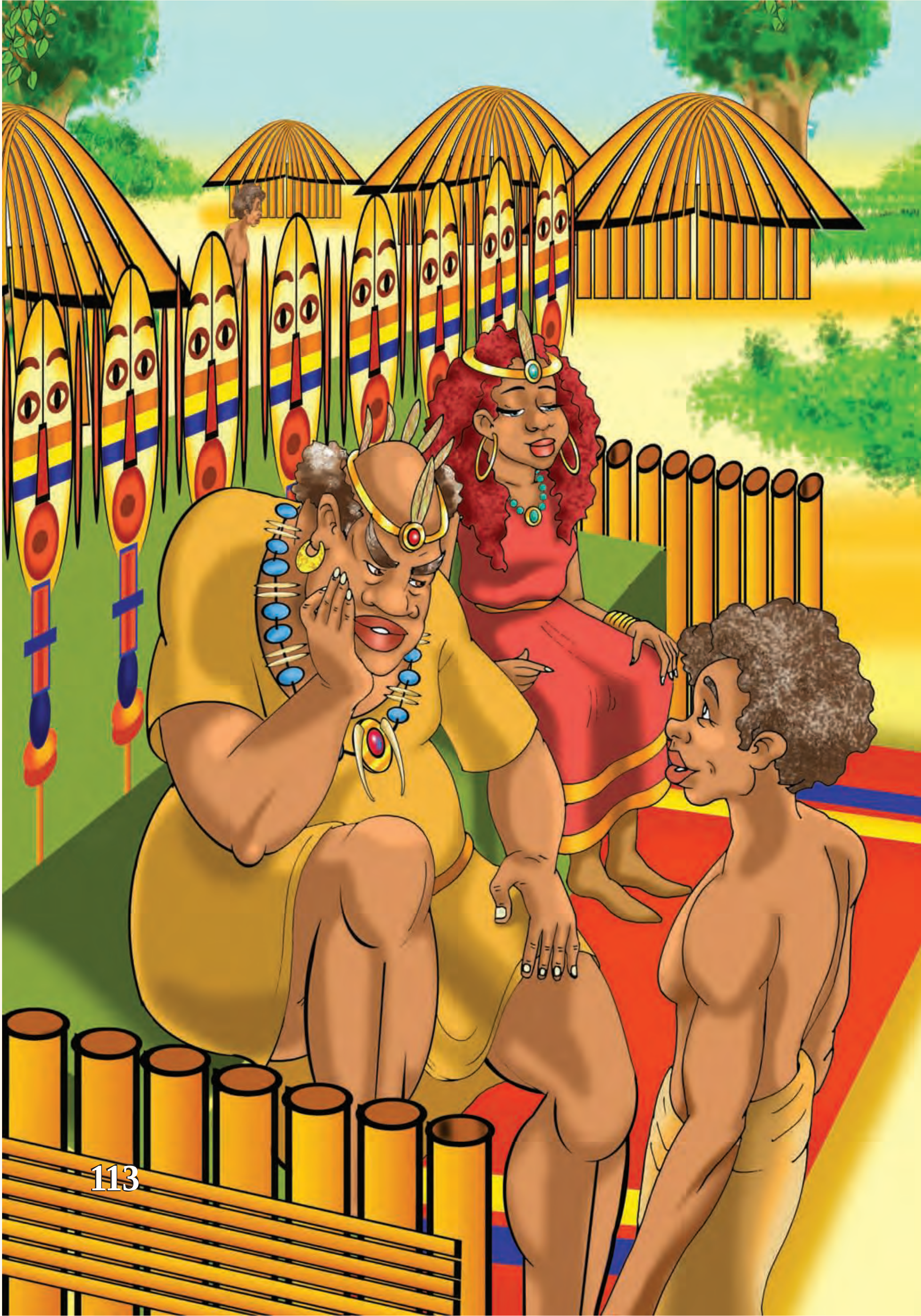
كَانَ الْأَمْرُ فِي مُنْتَهَى الصُّعُوبَةِ، بَلْ كَانَ مُسْتَحِيلًا!!

حَاوَلَ الْفَتَى نَحْتَ هَذِهِ الصَّخْرَةِ بِلَا جَدْوَى حَتَّى أَحَسَّ بِالتَّعَبِ فَنَامَ.

عَادَ الْفَتَى فِي نِهَايَةِ الْيَوْمِ إِلَى بَيْتِهِ حَزِينًا. وَظَلَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ عِدَّةَ أَيَّامٍ، وَفِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ قَابَلَهُ بَعْضُ النَّاسِ وَسَأَلُوهُ: مَاذَا فَعَلْتَ؟

اضْطُرَّ الْفَتَى إِلَى أَنْ يَقُولَ:

ـ قُمْتُ بِنَحْتِ نِصْفِ النَّايِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَلِيلُ!!



بَعْدَ أَسَابِيعَ ثَلَاثَةٍ أَرْسَــلَ إِلَى زَعِيمِ الْقَبِيلَةِ مَنْ يُخْبِرُهُ بِأَنَّهُ انْتَهَى مِنْ عَمَلِ النَّايِ الصَّخْرِيِّ، لَكِنَّهُ لَا يَسْـــتَطِيعُ أَنْ يَحْمِلَهُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ مِنَ الزَّعِيمِ أَنْ يُوَافِيَهُ بِوِسَادَةٍ مِنَ الدُّخَانِ يَضَعُ عَلَيْهَا النَّايَ وَيُقَدِّمُهُ إِلَى عَرُوسِهِ الْجَمِيلَةِ.

سَعِدَ زَعِيمُ الْقَبِيلَةِ بِهَذَا الْخَبَرِ، وَأَمَرَ خَادِمَهُ بِصُنْعِ وِسَادَةٍ مِنَ الدُّخَانِ.

قَالَ الْخَادِمُ:

ـ كَيْفَ أَصْنَعُهَا يَا سَيِّدِي؟

فَرَدَّ الزَّعِيمُ:

ـ أَشْـعِلِ النَّارَ، وَاجْمَعْ مَا يَصْدُرُ عَنْهَا مِنْ دُخَانٍ، وَامْلَأْ بِهِ وِسَادَةً مِنَ الْجِلْدِ، أَلَيْسَ هَذَا أَمْرًا بَسِيطًا؟!

هَزَّ الْخَادِمُ رَأْسَهُ وَخَرَجَ حَائِرًا.

أَشْـــعَلَ النَّارَ وَحَاوَلَ أَنْ يَجْمَعَ الدُّخَانَ، لَكِنَّهُ فَشِلَ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا؛ فَالدُّخَانُ سُرْعَانَ مَا يَنْتَشِرُ فِي الْهَوَاءِ مَهْمَا كَانَ حَجْمُ النَّارِ!!

ذَهَبَ الْخَادِمُ إِلَى سَيِّدِهِ وَأَخْبَرَهُ بِاسْتِحَالَةِ صُنْعِ هَذِهِ الْوِسَادَةِ الْعَجِيبَةِ، وَهُنَا أَمَرَ الزَّعِيمُ خَادِمَهُ أَنْ يُحْضِرَ إِلَيْهِ الْفَتَى فَوْرًا.

حَضَرَ الْفَتَى دُونَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ أَيُّ شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ الزَّعِيمُ:

ـ إِنَّكَ تَطْلُبُ الْمُسْتَحِيلَ أَيُّهَا الْفَتَى، وِسَادَةٌ مِنْ دُخَانٍ كَيْفَ؟! إِنَّهُ أَمْرٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَهُ عَقْلٌ!!

فَقَالَ الْفَتَى:

ـ وَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ يَا سَيِّدِي صُنْعُ نَايٍ مِنَ الصَّخْرِ؟! إِنَّهُ أَيْضًا أَمْرٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَهُ عَقْلٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!

صَمَتَ الزَّعِيمُ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ:

ـ نَعَمْ.. نَعَمْ.. أَنْتَ عَلَى حَقٍّ يَا بُنَيَّ، إِنَّ الْأَمْرَيْنِ مُسْـــتَحِيلَانِ، وَلَسَوْفَ أُزَوِّجُكَ ابْنَتِي، وَتُصْبِحُ أَحَدَ أَعْوَانِي الْمُقَرَّبِينَ!!



الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ

هَذِهِ حِكَايَةٌ تَقْتَرِبُ مِنَ الْأُسْطُورَةِ؛ حَيْثُ كَانَ أَحَدُ الزُّهَّادِ يَمْشِي فِي إِحْدَى الْغَابَاتِ فِي الْهِنْدِ، فَأَحَسَّ بِعَطَشٍ شَدِيدٍ.

فَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ بِئْرِ مَاءٍ حَتَّى وَجَدَهَا، فَأَدْلَى دَلْوَهُ فِي الْبِئْرِ لِيَمْلَأَهُ بِالْمَاءِ، وَحَاوَلَ جَذْبَهُ إِلَى أَعْلَى فَوَجَدَهُ ثَقِيلًا.

نَظَرَ الزَّاهِدُ فِي قَاعِ الْبِئْرِ فَرَأَى عَجَبًا؛ رَأَى نَمِرًا قَدْ تَعَلَّقَ بِالدَّلْوِ، وَبِجَانِبِهِ قِرْدٌ وَحَيَّةٌ وَإِنْسَانٌ!! وَالْجَمِيعُ يَنْتَظِرُونَ فُرْصَةً لِلْخَلَاصِ مِنْ هَذِهِ الْبِئْرِ.

فَتَرَدَّدَ الزَّاهِدُ: هَلْ يَجْذِبُ النَّمِرَ الَّذِي تَعَلَّقَ بِالدَّلْوِ أَمْ يَتْرُكُهُ وَيَمْضِي؟

نَظَرَ مَرَّةً أُخْرَى فِي الْبِئْرِ، فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ النَّمِرُ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ مَعْرُوفًا وَيُنْقِذَهُ، وَلَنْ يَنْسَى ذَلِكَ لَهُ، وَسَوْفَ يُكَافِئُهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ!!

جَذَبَ الرَّجُلُ النَّمِرَ، ثُمَّ أَسْقَطَ الدَّلْوَ مَرَّةً أُخْرَى، فَتَعَلَّقَ بِهِ الْقِرْدُ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يُنْقِذَهُ، وَوَعَدَهُ بِرَدِّ جَمِيلِهِ هَذَا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، فَجَذَبَ الرَّجُلُ الْقِرْدَ، ثُمَّ أَدْلَى الدَّلْوَ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، فَتَعَلَّقَتِ الْحَيَّةُ بِهِ وَتَوَسَّلَتْ لِلرَّجُلِ أَنْ يُنْقِذَهَا وَوَعَدَتْهُ بِمُكَافَأَتِهِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، فَجَذَبَ الرَّجُلُ الْحَيَّةَ!!

وَلَمْ يَبْقَ فِي الْبِئْرِ سِوَى الْإِنْسَانِ، فَأَدْلَى لَهُ الدَّلْوَ وَأَنْقَذَهُ، وَكَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ تَاجِرًا مَشْهُورًا مِنْ تُجَّارِ الْحُلِيِّ وَالْجَوَاهِرِ، وَوَعَدَهُ أَيْضًا بِرَدِّ الْجَمِيلِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ!

ثُمَّ مَلَأَ الرَّجُلُ الدَّلْوَ بِالْمَاءِ وَشَرِبَ حَتَّى ارْتَوَى، وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ وَالْأَرْبَعَةُ الَّذِينَ أَنْقَذَهُمْ يُقَدِّمُونَ لَهُ الشُّكْرَ وَيُعَرِّفُونَهُ عَلَى أَمَاكِنِهِمْ، وَيُؤَكِّدُونَ لَهُ أَنَّهُمْ سَيُجَازُونَهُ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ!

وَذَاتَ يَوْمٍ اعْتَرَضَ الزَّاهِدَ بَعْضُ اللُّصُوصِ فِي أَثْنَاءِ عَوْدَتِهِ إِلَى الْبَيْتِ، وَسَلَبُوهُ كُلَّ مَا يَمْلِكُ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ وَزَادٍ، وَتَرَكُوهُ وَحِيدًا يَبْكِي حَظَّهُ.

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ تَذَكَّرَ الزَّاهِدُ أَصْدِقَاءَهُ الْأَرْبَعَةَ الَّذِينَ أَنْقَذَهُمْ مُنْذُ سَنَوَاتٍ، فَقَصَدَ بَيْتَ الْقِرْدِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا حَدَثَ لَهُ، فَغَابَ الْقِرْدُ عَنِ الرَّجُلِ بَعْضَ الْوَقْتِ



وَعَادَ حَامِلًا لَهُ بَعْضَ الْفَاكِهَةِ، وَانْطَلَقَ يُخْبِرُ النَّمِرَ بِمَا حَدَثَ!!

حَزِنَ النَّمِرُ وَعَادَ مَعَ الْقِرْدِ إِلَى الرَّجُلِ، وَأَخَذَ يُخَفِّفُ عَنْهُ مَا حَدَثَ لَهُ، ثُمَّ صَمَتَ قَلِيلًا وَقَالَ:

- لَقَدْ كَانَ ابْنُ الْمَلِكِ يَتَنَزَّهُ فِي الْغَابَةِ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ، وَقَدِ اسْتَوْلَيْتُ عَلَى مَا كَانَ يَتَزَيَّنُ بِهِ مِنْ حُلِيٍّ وَجَوَاهِرَ، فَخُذْهَا عِوَضًا عَمَّا ضَاعَ مِنْكَ.

أَسْرَعَ النَّمِرُ وَأَحْضَرَ الْجَوَاهِرَ وَالْحُلِيَّ وَأَعْطَاهَا لِلرَّجُلِ.

حَمَلَ الزَّاهِدُ هَذِهِ الْجَوَاهِرَ وَقَصَدَ التَّاجِرَ الَّذِي أَنْقَذَهُ، فَرَحَّبَ بِهِ فِي الْبِدَايَةِ، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ الْجَوَاهِرَ لَعَلَّهُ يَشْتَرِيهَا مِنْهُ.

عَرَفَ التَّاجِرُ أَنَّ هَذِهِ جَوَاهِرُ ابْنِ الْمَلِكِ، فَظَنَّ أَنَّ الزَّاهِدَ قَدْ قَتَلَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْجَوَاهِرِ، فَصَاحَ فِي وَجْهِهِ: أَنْتَ لِصٌّ وَقَاتِلٌ!!

حَاوَلَ الزَّاهِدُ أَنْ يَشْرَحَ لَهُ مَا حَدَثَ، لَكِنَّ التَّاجِرَ أَسْرَعَ بِاسْتِدْعَاءِ الشُّرْطَةِ، وَقُدِّمَ الرَّجُلُ لِلْمُحَاكَمَةِ بِتُهْمَةِ الْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالْإِعْدَامِ شَنْقًا!

عَلِمَتِ الْحَيَّةُ بِمَا حَدَثَ، وَجَاءَ دَوْرُهَا فِي إِنْقَاذِ الزَّاهِدِ.

أَسْرَعَتِ الْحَيَّةُ وَلَدَغَتِ الْمَلِكَةَ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِاسْتِدْعَاءِ أَحَدِ الْحُوَاةِ لِيُعَالِجَ الْمَلِكَةَ قَبْلَ أَنْ يَسْرِيَ السُّمُّ فِي جَسَدِهَا.

وَعَلَى الْفَوْرِ حَضَرَ الْحَاوِي، وَأَخَذَ يُتَمْتِمُ بِبَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَامِضَةِ، فَظَهَرَتِ الْحَيَّةُ، فَقَالَ لَهَا:

- أَنْقِذِي الْمَلِكَةَ مِنَ السُّمِّ.

قَالَتْ لَهُ:

- لَنْ أَفْعَلَ حَتَّى يَعْفُوَ الْمَلِكُ عَنْ ذَلِكَ الزَّاهِدِ الْبَرِيءِ.

أَمَرَ الْمَلِكُ بِالْعَفْوِ عَنِ الزَّاهِدِ وَإِحْضَارِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ، فَحَكَى لَهُ الرَّجُلُ مَا حَدَثَ. ثُمَّ قَالَ:

- يَا مَوْلَايَ لَقَدِ اخْتَبَرْتُ الْوَفَاءَ فِي النَّمِرِ وَالْقِرْدِ وَالْحَيَّةِ وَالْإِنْسَانِ، فَلَمْ أَجِدِ الْغَدْرَ إِلَّا فِي الْإِنْسَانِ!!



الْأَخَــــوَانِ

خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَــــانَ، وَمَنَحَهُ الْعَقْلَ وَالْإِحْسَــــاسَ. لَكِنَّ النَّاسَ دَرَجَاتٌ فِي التَّفْكِيرِ وَالشُّعُورِ.

مِنْهُمْ مَنْ يَتَمَتَّعُ بِــذَكَاءٍ عَالٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِــلُّ ذَكَاؤُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَخْدِمُ ذَكَاءَهُ فِي الْخَيْرِ، وَآخَرُ يَسْتَخْدِمُهُ فِي الشَّرِّ وَالدَّهَاءِ.

وَحِكَايَتُنَا عَنْ رَجُلٍ يُسَــمَّى عَمَّ «ذَكِي» يُتَاجِــرُ فِي الْخَضْرَاوَاتِ، وَكَانَ مَعَهُ أَخَوَانِ يُسَاعِدَانِهِ هُمَا: «نَبْهَانُ»، وَ«سَرْحَانُ».

وَكَانَ يُفَضِّلُ «نَبْهَانَ» عَنْ «سَرْحَانَ»، فَيُعْطِيهِ أَجْرًا أَكْثَرَ مِنْ أَخِيهِ.

لَاحَظَ «سَرْحَانُ» مَا يَفْعَلُهُ عَمُّ «ذَكِي»؛ فَثَارَ وَغَضِبَ، وَدَخَلَ عَلَى عَمِّ «ذَكِي» صَائِحًا:

- مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ بِنَا أَيُّهَا الرَّجُــلُ؟! لِمَاذَا تُعْطِي أَخِي «نَبْهَانَ» أَجْرًا أَكْثَرَ مِنِّي وَنَحْنُ نَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ مَعًا؟ لِمَاذَا لَا تَكُونُ عَادِلًا؟!

ابْتَسَمَ عَمُّ «ذَكِي» وَقَالَ فِي هُدُوءٍ:

- أَتُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ يَا «سَرْحَانُ»؟

قَالَ «سَرْحَانُ»:

- طَبْعًا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ؛ إِنَّهُ لَا يَزِيدُ عَلَيَّ شَيْئًا.

قَالَ عَمُّ «ذَكِي»:

- سَــوْفَ نَرَى يَا «سَرْحَانُ»، اذْهَبْ أَوَّلًا إِلَى سُــوقِ الْجُمْلَةِ، وَاعْرِفْ هَلْ هُنَاكَ بَطَاطِسُ أَمْ لَا.

انْدَهَشَ «سَرْحَانُ» وَقَالَ: أَهَذَا اخْتِبَارٌ أَمْ مَاذَا؟

- بَلْ عَمَلٌ يَا «سَرْحَانُ».. اذْهَبْ وَعُدْ سَرِيعًا.

ذَهَبَ «سَرْحَانُ» إِلَى سُوقِ الْجُمْلَةِ.. ثُمَّ عَادَ وَقَالَ لِعَمِّ «ذَكِي»:



ـ نَعَمْ هُنَاكَ بَطَاطِسُ فِي السُّوقِ!

قَالَ عَمُّ «ذَكِي»: بِكَمِ الْكِيلُو؟

قَالَ «سَرْحَانُ»: لَمْ أَسْأَلْ!

قَالَ عَمُّ «ذَكِي»: اذْهَبْ وَاسْأَلْ وَعُدْ.

ذَهَبَ «سَرْحَانُ» إِلَى سُوقِ الْجُمْلَةِ، ثُمَّ عَادَ وَقَالَ: الْكِيلُو بِثَلَاثَةِ جُنَيْهَاتٍ.

ـ حَسَنًا.. هَلْ تُوجَدُ كَمِّيَّةٌ مِنَ الْبَطَاطِسِ يُمْكِنُ أَنْ نَشْتَرِيَهَا؟

قَالَ «سَرْحَانُ»: لَا أَدْرِي.

قَالَ عَمُّ «ذَكِي»: اذْهَبْ يَا «سَرْحَانُ» وَاسْأَلْ وَعُدْ.

ذَهَبَ «سَرْحَانُ» وَسَأَلَ، ثُمَّ عَادَ وَقَالَ:

ـ وَجَدْتُ كَمِّيَّةً لَا تَقِلُّ عَنْ مِئَةِ كِيلُو جِرَامٍ.

هَزَّ عَمُّ «ذَكِي» رَأْسَهُ وَقَالَ:

ـ حَسَنًا يَا «سَرْحَانُ».. اجْلِسْ هُنَا بِجِوَارِي قَلِيلًا.

ثُمَّ نَادَى عَمُّ «ذَكِي» أَخَاهُ «نَبْهَانَ» وَقَالَ لَهُ:

ـ اذْهَبْ يَا «نَبْهَانُ» إِلَى سُوقِ الْجُمْلَةِ.. وَاعْرِفْ هَلْ هُنَاكَ بَطَاطِسُ أَمْ لَا.

أَسْرَعَ «نَبْهَانُ» إِلَى السُّوقِ وَغَابَ قَلِيلًا ثُمَّ عَادَ.

سَأَلَهُ عَمُّ «ذَكِي»: مَاذَا وَجَدْتَ يَا «نَبْهَانُ»؟

قَالَ «نَبْهَانُ»:

ـ وَجَدْتُ فِي السُّوقِ الْبَطَاطِسَ، وَيُبَاعُ الْكِيلُو بِثَلَاثَةِ جُنَيْهَاتٍ، وَيُمْكِنُنَا بِهَذَا السِّعْرِ أَنْ نَشْتَرِيَ كَمِّيَّةً فِي حُدُودِ مِئَةِ كِيلُو جِرَامٍ مِنْ أَجْوَدِ الْأَنْوَاعِ!

شَكَرَ عَمُّ «ذَكِي» «نَبْهَانَ»، وَانْصَرَفَ الْفَتَى إِلَى عَمَلِهِ!

ثُمَّ نَظَرَ عَمُّ «ذَكِي» إِلَى «سَرْحَانَ» وَقَالَ:

ـ مَا رَأْيُكَ الْآنَ؟ هَلْ عَرَفْتَ لِمَاذَا أُعْطِي أَخَاكَ «نَبْهَانَ» أَجْرًا أَكْبَرَ مِنْكَ؟!



أَذَانٌ فِي غَيْرِ أَوَانٍ

يُحْكَــى أَنَّ أَمِيرًا تُرْكِيًّا مِنَ الْمَمَالِيكِ طَلَبَ مِــنْ نَائِبِهِ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى تَاجِرٍ يُقْرِضُهُ أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ يَرُدَّهَا إِلَيْهِ بَعْدَ حِينٍ.

قَالَ النَّائِبُ:

ـ أَعْرِفُ تَاجِرًا مَيْسُورَ الْحَالِ لَدَيْهِ مَا تُرِيدُ، فَإِذَا نَادَاهُ سَيِّدِي الْأَمِيرُ وَأَكْرَمَهُ فِي مَجْلِسِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُقْرِضَهُ هَذَا الْمَبْلَغَ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِي أَنْ يَرْفُضَ!

وَبَعَثَ الْأَمِيرُ رَسُــولَهُ إِلَى التَّاجِرِ يَدْعُوهُ إِلَى قَصْــرِهِ فِي مُقَابَلَةٍ خَاصَّةٍ، فَلَبَّى التَّاجِرُ الدَّعْوَةَ، وَدَخَلَ عَلَى الْأَمِيرِ فَرَحَّبَ بِهِ وَأَكْرَمَهُ وَأَثْنَى عَلَى أَمَانَتِهِ فِي التِّجَارَةِ، وَتَقْوَاهُ، وَحُسْنِ سُـــمْعَتِهِ، ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لِثِقَتِهِ بِهِ يُفَكِّرُ أَنْ يُشْرِكَهُ فِي مَشْرُوعَاتِهِ الْمَالِيَّةِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَعْتَبِرَ قَصْرَهُ بَيْتًا لَهُ.

وَجَاءَ وَقْتُ الْغَدَاءِ، فَأَجْلَسَهُ الْأَمِيرُ عَلَى يَمِينِهِ وَأَحَاطَهُ بِكُلِّ كَرَمٍ وَمُجَامَلَةٍ، ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ الْغَدَاءِ إِلَى جِلْسَــةٍ خَاصَّةٍ تَنَاوَلَا فِيهَا الْحَلْوَى، وَحَدَّثَهُ الْأَمِيرُ عَنْ سَبَبِ اسْتِدْعَائِهِ فَقَالَ:

ـ أَنَا أَعْــرِفُ أَثْرِيَاءَ بَغْدَادَ جَمِيعَهُمْ، وَهُمْ يُحِبُّونَنِي وَيَرْغَبُونَ أَنْ أُشْــرِكَهُمْ فِي أَعْمَالِي، وَأَسْتَطِيعُ بِبَسَاطَةٍ أَنْ أَقْتَرِضَ مِنْ أَحَدِهِمْ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، لَكِنَّنِي لَمْ أَشَأْ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ مَعَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَفَضَّلْتُ أَنْ أَقْتَرِضَ مِنْكَ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَطْ، عَلَى أَنْ أَرُدَّهَا إِلَيْكَ بَعْدَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ وَمَعَهَا كِسْوَةٌ كَامِلَةٌ.

لَمْ يَسْتَطِعِ التَّاجِرُ أَنْ يَرْفُضَ، وَلَوْ أَنَّهُ اعْتَذَرَ عَنْ عَدَمِ وُجُودِ الْمَبْلَغِ كُلِّهِ الْآنَ، وَوَعَدَهُ بِإِقْرَاضِهِ الْمَبْلَغَ كَامِلًا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

وَحِينَمَا جَاءَ لِلْأَمِيرِ بِالْمَبْلَغِ، أَعْطَاهُ الْأَمِيرُ إِيصَالًا وَتَعَهُّدًا بِرَدِّهِ مَعَ الْكِسْوَةِ بَعْدَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ التَّاجِرُ!

وَمَضَتِ الْأَشْهُرُ الْخَمْسَةُ، فَلَمْ يَرُدَّ الْأَمِيرُ شَــيْئًا لِلتَّاجِرِ، وَكَثُرَ تَرَدُّدُ التَّاجِرِ عَلَى الْأَمِيرِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُبْدِ أَيَّةَ إِشَارَةٍ بِأَنَّهُ يَتَذَكَّرُ الدَّيْنَ الَّذِي عَلَيْهِ!



وَيَئِسَ التَّاجِرُ، فَكَتَبَ لَهُ الْتِمَاسًا، فَأَجَابَهُ الْأَمِيرُ:

- إِنَّنِي أَتَذَكَّرُ، وَقَدْ أَمَرْتُ نُوَّابِي بِرَدِّ الْمَبْلَغِ.

وَانْتَظَرَ التَّاجِرُ أَنْ يَصِلَهُ الدَّيْنُ بِلَا جَدْوَى، فَلَجَأَ إِلَى الْقَضَاءِ فِي آخِرِ الْأَمْرِ، لَكِنَّ الْقَاضِيَ فَشِلَ فِي إِعَادَةِ الْحَقِّ إِلَى التَّاجِرِ.

وَذَهَبَ التَّاجِرُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِيُصَلِّيَ، وَأَخَذَ يُلِحُّ فِي الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ، وَسَمِعَهُ أَحَدُ الدَّرَاوِيشِ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ، فَقَصَّ عَلَيْهِ حِكَايَتَهُ مَعَ الْأَمِيرِ.

فَقَالَ الدَّرْوِيشُ:

- أَنْصَحُكَ بِأَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْحَيِّ الْأَخْضَرِ، وَهُنَاكَ تَجِدُ دُكَّانًا لِخَيَّاطٍ يُسَمَّى «مَحْمُودًا»، لَوْ حَكَيْتَ لَهُ قِصَّتَكَ سَيُحْضِرُ لَكَ مَالَكَ فَوْرًا مِنَ الْأَمِيرِ.

ذَهَبَ التَّاجِرُ وَلَقِيَ الْخَيَّاطَ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ، فَأَمَرَ الْخَيَّاطُ أَحَدَ الْعَامِلِينَ مَعَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى قَصْرِ الْأَمِيرِ وَيُخْبِرَهُ بِأَنَّ الْخَيَّاطَ «مَحْمُودًا» يَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ مَالَ التَّاجِرِ الَّذِي انْقَضَى أَجَلُهُ.

وَغَابَ الْغُلَامُ سَاعَةً مِنَ الزَّمَانِ وَعَادَ يَقُولُ:

- إِنَّ الْأَمِيرَ سَوْفَ يَحْضُرُ بِنَفْسِهِ لِيَرُدَّ لِلتَّاجِرِ مَالَهُ وَيَعْتَذِرَ لَهُ عَنِ التَّأْخِيرِ.

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى حَضَرَ الْأَمِيرُ فَنَزَلَ عَنْ حِصَانِهِ وَقَبَّلَ يَدَ الْخَيَّاطِ، وَأَعْطَى التَّاجِرَ مَالَهُ وَاعْتَذَرَ لَهُ، وَانْصَرَفَ!!

لَمْ يُصَدِّقِ التَّاجِرُ مَا حَدَثَ، فَسَأَلَ الْخَيَّاطَ عَنْ سِرِّ اسْتِجَابَةِ الْأَمِيرِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَجَزَتْ فِيهِ كُلُّ الْوَسَائِطِ، وَفَشَلَ الْقَاضِي فِي إِقْنَاعِهِ!! فَقَالَ:

- إِنَّ لِهَذَا الْأَمْرِ قِصَّةً يَا صَدِيقِي.

قَالَ التَّاجِرُ:

- أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَهَا يَا أَخِي.

قَالَ الْخَيَّاطُ:

- مُنْذُ سَنَوَاتٍ كَانَ فِي بَغْدَادَ أَمِيرٌ تُرْكِيٌّ ذُو سَطْوَةٍ وَجَبَرُوتٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَجْرُؤُ عَلَى مُرَاجَعَتِهِ أَوْ نَقْدِ أَعْمَالِهِ.



هَبَطَ يَوْمًا إِلَى السُّـــوقِ، وَأَمَرَ رِجَالَهُ بِتَحْطِيمِ الدَّكَاكِينِ دُونَ سَبَبٍ مَعْقُولٍ!!
ثُمَّ رَأَى امْرَأَةً جَمِيلَةً، فَأَمَرَ رِجَالَهُ بِخَطْفِهَا، فَأَخَذَتْ تَصْرُخُ دُونَ جَدْوَى.
وَانْطَلَـــقَ النَّاسُ وَأَنَا مَعَهُـــمْ إِلَى قَصْرِهِ لَعَلَّهُ يُطْلِقُ سَـــرَاحَ الْمَرْأَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لَنَا!!

وَذَهَبْتُ إِلَى بَيْتِي فَلَمْ أَسْـــتَطِعِ النَّوْمَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِي أَنْ أُؤَذِّنَ لِلْفَجْرِ فِي الْمَسْجِدِ الْمُجَاوِرِ لِبَيْتِي، وَسَأَلْتُ نَفْسِي:

- كَيْفَ أَلْقَى الْخَلِيفَةَ وَأَشْكُو هَذَا الْأَمِيرَ الظَّالِمَ؟

وَهَدَانِي تَفْكِيرِي إِلَى صُعُودِ الْمِئْذَنَةِ قَبْلَ مَوْعِدِ الصَّلَاةِ بِوَقْتٍ طَوِيلٍ، وَأَخَذْتُ أَرْفَعُ صَوْتِي بِالْأَذَانِ.

وَحِينَمَا سَمِعَ الْخَلِيفَةُ أَذَانَ الْفَجْرِ فِي غَيْرِ مَوْعِدِهِ، أَمَرَ حَارِسَهُ بِالْقَبْضِ عَلَى هَذَا الْمُؤَذِّنِ الَّذِي يَعْبَثُ بِالدِّينِ وَالْأَذَانِ!

سِرْتُ مَعَهُمْ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَوَجَدْتُ الْخَلِيفَةَ غَاضِبًا، فَقُلْتُ لَهُ:

- أَرْجُو أَنْ تَهْدَأَ يَا مَوْلَايَ وَتَسْمَعَ قِصَّتِي.

وَحَكَيْتُ لَهُ مَا كَانَ مِنَ الْأَمِيرِ فِي السُّوقِ وَخَطْفِ الْمَرْأَةِ أَمَامَنَا جَمِيعًا.

ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَأَمَرَ حُرَّاسَهُ أَنْ يُحْضِرُوا الْأَمِيرَ مُكَبَّلًا وَيُفْرِجُوا عَنِ الْمَرْأَةِ.

وَتَمَّ عَزْلُ الْأَمِيرِ مِنْ مَنْصِبِهِ، وَكَانَتِ الْحَادِثَةُ دَرْسًا لِكُلِّ أَمِيرٍ مُنْحَرِفٍ.
وَأَمَرَنِي الْخَلِيفَةُ أَنْ أُؤَذِّنَ فِي أَيِّ وَقْتٍ كُلَّمَا رَأَيْتُ ظُلْمًا لَمْ أَسْتَطِعْ لَهُ دَفْعًا.
وَلِهَذَا أَسْرَعَ الْأَمِيرُ وَأَحْضَرَ مَالَكَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَصَعِدْتُ الْمِئْذَنَةَ وَأَذَّنْتُ، وَدَفَعَ الْأَمِيرُ الثَّمَنَ غَالِيًا!!

شَكَرَ التَّاجِرُ الْخَيَّاطَ، وَدَعَا لَهُ، وَانْصَرَفَ بِمَالِهِ.